منهج القرآن في ذكر الإلحاد والملحدين

دراسة استقرائية تحليلية

د/ حسن ثابت صلاح الحازمي

أستاذ مساعد التفسير وعلوم القرآن – قسم أصول الدين –

كلية الشريعة وأصول الدين– جامعة نجران – المملكة العربية السعودية



ملخص البحث

يعرض البحث لقضية الإلحاد والملحدين في القرآن الكريم ، فوقف على دلالة المصطلح في القرآن الكريم ، وكشف عن سمات وخصوصية التفكير الإلحادي ، وتبين أنه يقف على النقيض تماما من التفكير الإيمانى، كما ناقش البحث نشأة الإلحاد عبر التاريخ ابتداء من فلاسفة اليونان وانتهاء بالملاحدة الجدد في العصر الحديث ، مع بيان المنهج العام للقرآن الكريم في معاملة المخالفين ، فتبين أن أهم السمات العامة للقرآن الكريم في معاملة المخالفين ، هى الدعوة بالموعظة الحسنة ، واستخدام أساليب الحوار والحجة والبرهان ،ممايقطع دابر الذين ادعوا أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وقام الباحث بدراسة استقرائية تحليلية لآيات الإلحاد والملحدين في القرآن الكريم ، دراسة استقرائية بحصر الآيات الصريحة وغير الصريحة والقصصية التى تعرضت للإلحاد والملحدين، ودراسة تحليلية لهذه النصوص من خلال أقوال المفسرين ، ومعرفة الدواعى والأسباب التى أدت الى ظهور الإلحاد ، وقدم البحث أدلة القرآن الفطرية ، والحسية ، والعقلية التى تثبت كذب وبهتان الملحدين . وفي الخاتمة أوجز الباحث النتائح العامة للبحث وقدم بعض التوصيات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فبالرغم من كثرة ما كتب في موضوع الإلحاد من جانب الدارسين والباحثين ، إلا أن هذه الدراسة " منهج القرآن في ذكر الإلحاد والملحدين " تثير إشكالا جديدا ، ، وهو أن القضية المحورية في القرآن الكريم ليست فقط: قضية إثبات الوحدانية ونبذ الشرك ،وتقرير عقيدة التوحيد في نفوس المؤمنين والناس كافة ، فإن هذه قضية لازمة للقضية المحورية وهيى قضية " الوجود الإلهي " فمن المنطقي أن يبدأ القرآن بإثبات قضية " الوجود الإلهي " سواء بتنبيه الفطرة البشرية ، أو بالمنطق العقلي ، أو بالحث على النظر في الأنفس والآفاق ، ثم يعرج بعد ذلك إلى قضية " التوحيد" ؛ إذ كيف يمكن تقرير عقيدة التوحيد ، دون إثبات الوجود الإلهى ذاته ، والقرآن الكريم لم ينزل لقوم يؤمنون بوجود إله فحسب ، بل نزل للناس كافة ، لكافرهم ،ومؤمنهم ، ومشركهم ، ومنكرهم ، ومن هنا تأتى أهمية هذا البحث ، فالقرآن الكريم تناول قضية الإلحاد والملحدين ، وناقش أصولهم ومعتقداتهم ، وتأتى بلاغة القرآن في أنه لم يخص لفظ الإلحاد بمعنى ضيق كما نخصة نحن في مفهومنا المعاصر ، بل جاء اللفظ عاما ليشمل كل أنواع الإلحاد ، من كفر ، وشرك ، وادعاء وإنكار، وهذا إشكال آخر أثاره هذا البحث ، وهو أن البعض يعتقد أن القرآن الكريم لم يتعرض للملحدين بشكل صريح ،على اعتبار أن لفظ الإلحاد في القرآن لا علاقة له بقضية إنكار الخالق ، فقد ثبت من خلال هذا البحث أن قضية إنكار الخالق تندرج تحت لفظ الإلحاد الوارد في القرآن الكريم ، فضلا عن تعرض القرآن لقضية إنكار الألوهية في آيات

أخرى بشكل صريح وفي قصص الملحدين كإمام الملحدين فرعون عليه من الله ما يستحق.

خطة البحث:

و يتكون البحث من تمهيد ومبحثين كالآتي :

التمهيد : الإلحاد تعريفه وخصوصية التفكير الإلحادي ومنهج القرآن في التعامل مع المخالفين

أما المبحث الأول : الإلحاد والملحدون في آيات القرآن الكريم ويشتمل على ثلاثة مطالب كالآتي :

المطلب الأول :- آيات الإلحاد والملحدين " استقراء وتحليل "

المطلب الثاني :أسباب الإلحاد وأنواعه وأهم قضاياه وآثاره وأقسام الملحدين وأحكامهم من خلال الآيات القرآنية

المطلب الثالث : اساليب القرآن الكريم في مخاطبة الملحدين .

أما المبحث الثاني : أدلة القرآن الكريم في معارضة الفكر الإلحادي ويشتمل على ثلاثة مطالب كالآتي :

المطلب الأول: دليل الفطرة

المطلب الثالث: دليل الحس

المطلب الثاني: دليل العقل

ثم الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات والفهارس.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أنها تثبت أن قضية " الوجود الإلهى " هي القضية المحورية في القرآن الكريم ، وذلك بخلاف الخطأ الشائع لدى بعض الدارسين ، وهو أن القرآن الكريم قد تجاهل قضية الوجود الإلهى واهتم بقضية تقرير عقيدة التوحيد ، والاستدلال على وحدانية الله ، ولعل هذا ناشئ من اعتقاد عدم تناول القرآن الكريم قضية الإلحاد والملحدين بشكل واضح

وصريح على اعتبار أن لفظ الإلحاد ومشتقاته الواردة في القرآن الكريم لا تدل دلالة واضحة وصريحة على ما يعنيه المعاصرون من لفظة الإلحاد ،وقد جاء هذا البحث ليفكك هذا الاعتقاد.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

١ – الوقوف على مصطلح الإلحاد في القرآن الكريم ، هل المقصود به المعنى المتعارف عليه عند المعاصرين " إنكار وجود الله " أم أن القرآن قصد به دلالة أعم وأشمل من ذلك يمكن أن يندرج فيه الكفار والمشركون والظالمون ، والملحدون بمفهومنا المعاصر ؟

٢ – الكشف عن سمات التفكير الإلحادي ، وأهم القضايا الإلحادية التى ناقشها القرآن الكريم .

٣– الوقوف على منهج القرآن الكريم في التعامل مع الملحدين ،هل توعدهم بالعقاب أم ناقشهم بالحجة والبرهان، هل أهلكهم أم أمهلهم؟

٤– معرفة أسباب وجود ظاهرة الإلحاد من خلال القرآن الكريم ، ودراسة دوافع الملحدين في القرآن الكريم كفرعون ، والنمرود ، وصاحب الجنتين.

٥– الوقوف على منهجية القرآن الكريم في تقرير أدلة قضية " الوجود الإلهى " ولوازمها من إثبات للبعث ولليوم الآخر من خلال دليل الفطرة ، والعقل ، والحس.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي ومنهج تحليل المضمون ؛ بالمنهج الاستقرائي[١]: ،يمكن تتبع النصوص والآيات التى عالجت قضية الإلحاد والملحدين في القرآن الكريم ، وتتبع أقوال المفسرين فيها ،سواء التفسير بالمنقول أو التفسير بالمعقول ، وقد تم تصنيف الآيات إلى آيات صريحة ذكرت لفظة الإلحاد ، وآيات عامة ناقشت قضايا الإلحاد والملحدين ، من إنكار للألوهية ، والبعث ، والرسل واليوم الآخر .، وآيات قصصية تحكى أخبار الملاحدة في القرون الغابرة لنتخذ العبرة ، ولنتعلم كيف نجنب مجتمعاتنا خطورة الإلحاد.

وبمنهج تحليل المضمون[٢]: يمكن تحليل النصوص ، ومعرفة آسباب ظاهرة الإلحاد وأهم قضاياه ، والأحكام المترتبة عليه سواء كانت أحكاما فقهية أو أحكاما عقدية وذلك من خلال الفهم العام لآيات القرآن الكريم ومن أقوال المفسرين .

---

(١) هو عبارةٌ عن عمليةٍ دقيقةٍ تسعى إلى حصر البيانات، وملاحظة الظواهر المرتبطة بها بهدف الربط بينها بمجموعةٍ من العلاقات الكلية العامة، وتنحصر وظيفة الاستقراء في محاولة تتبع القضية –محل الدراسة– و ربط أجزائها ببعضها البعض واستخلاص حكم كلي عام ، ومن هنا يتبين لنا أن المنهج الاستقرائي يعني استقراء الجزئيات ليستدل منها على الكليات، أو ليستدل منها على الرابط العام بين هذه الأجزاء ، لذلك قيل إن جوهر المنهج الاستقرائي هو الانتقال من الجزئيات إلى الكليات، أو من الخاص إلى العام عن طريق الملاحظة ودراسة الفروض والبراهين وإيجاد الأدلة . ينظر: الأصول المنهجية لإعداد البحوث العلمية، أحمد عبد الكريم سلامة، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص : ٣٤ ، وينظر الاستقراء والمنهج العلمي، د. محمود زيدان مؤسسة شباب الجامعة– الإسكندرية ١٩٨٠م، ص : ٦٢ وانظر الكليات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ص: ١٠٥)، التعريفات (ص: ١٨)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م. ينظر: المنطق الحديث ومناهج البحث، د. محمود قاسم، ص(٥٤)، مكتبة الأنجلو المصرية، الرابعة، مصر، سنة ١٩٦٦

(٢) المنهج التحليلي هو: دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ووصفها وصفاً دقيقاً والتعبير عنها كيفياً أو كمياً. (ينظر: البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتاباته وطباعاته ومناقشاته – الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة. ج١، ط٤، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م)، تطور الفكر التربوي، أحمد وسعد مرسي (ص٩٦)، ط١٠ عالم الكتب – القاهرة. ١٩٨٦م.

التـمـهـيـد:

الإلحاد تعريفه وخصوصية التفكير الإلحادي ومنهج القرآن في التعامل مع المخالفين

المطلب الأول: تعريف الإلحاد لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: خصوصية التفكير الإلحادي وأهم شخصياته عبر التاريخ

المطلب الثالث: بيان المنهج العام للقرآن الكريم في معاملة المخالفين

المطلب الأول : تعريف الإلحاد لغة واصطلاحاً :

أولا : معنى الإلحاد في اللغة

الإلحاد في اللغة : هو مطلق الميل والعدول عن الشيء ، جاء في مقاييس اللغة لابن فارس : اللام والحاء والدال أصلٌ يدلُّ على ميلٍ عن استقامةٍ ؛ يقال: أَلْحَدَ الرّجلُ إذا مال عن طريقةِ الحقِّ والإيمان، وسمِّي اللَّحدُ لأنّه مائلٌ في أحد جانِبَيِ الجَدَث (القبر) (١). فأصل "الإلحاد" في كلام العرب: العدول عن القصد، والجورُ عنه، والإعراض ، ثم إنه يستعمل في كل معوَجّ غير مستقيم ؛ ولذلك قيل للحْد القبر "لحد"؛ لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه. يقال منه: "ألحد فلانٌ يُلْحِد إلحادًا"، و"لَحد يلْحَد لَحْدًا ولُحُودًا"(٢) ، وقال ابنُ

(١)أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥). معجم مقاييس اللغة؛، طبعة التراث العربي، ص٩١٤. ، لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى، جـ ٣ ص ٣٨٨

(٢) الطبرى: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق، أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، جـ ١٣، ص:٢٨٤ يقول ابن جرير الطبري : " وأصل "الإلحاد" في كلام العرب: العدول عن القصد، والجورُ عنه، والإعراض. ثم يستعمل في كل معوَجّ =

السِّكِّيت : المُلْحِدُ : العادِلُ عن الحَقِّ المُدْخِلُ فيه ما ليس فيه ، ويقال : قد أَلْحَدَ في الدِّين ولَحَدَ ، أَي حَادَ عنه[1].

ولفظة " الإلحاد" كمصدر رباعي من الفعل ألحد لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة ، في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)} [الحج: ٢٥] بينما وردت مادتها في خمسة مواضع؛ ثلاثة منها داخلة في معنى الإلحاد بمعناه اللغوي " الميل والعدول"، واثنان بمعنى: الملجأ؛

أما الثلاثة الأولى التي جاء فيها الإلحاد بمعنى الميل والعدول كالتالي:

١- {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)} [الأعراف: ١٨٠]

٢- {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)} [النحل: ١٠٣]

=غير مستقيم، ولذلك قيل للحْد القبر: "لحد"، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه. يقال منه: "ألحد فلانٌ يُلْحِد إلحادًا"، و"لَحد يلْحَد لَحْدًا ولُحُودًا". وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين "الإلحاد" و"اللحِد"، فيقول في "الإلحاد": إنه العدول عن القصد، وفي "اللحد" إنه الركون إلى الشيء. وكان يقرأ جميع ما في القرآن: (يُلْحِدُونَ) بضم الياء وكسر الحاء، إلا التي في النحل، فإنه كان يقرؤها: "يَلْحَدُون" بفتح الياء والحاء، (١) ويزعم أنه بمعنى الركون.وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب، فيرون أن معناهما واحدٌ، وأنهما لغتان جاءتا في حرفٍ واحدٍ بمعنى واحد. "

(١) ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ جـ ٣ ص ٣٨٨

٣- {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)} [فصلت: ٤٠]

أما الموضعان الآخران اللذان بمعنى الملجأ ففي قوله تعالى :

١ – {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) } [الكهف: ٢٧]

٢ – { قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)} [الجن: ٢٢]

والإلحاد بهذا المعنى اللغوي العام يدخل فيه الظلم ، والشرك ، والشك ، ، والعند ، والكفر ، والتكذيب ، والإنكار. فالإلحاد هو مطلق الميل وترك القصد ، والميل عن طريق الحق والإيمان هو نوع من الإلحاد العام ، بل هو الإلحاد ذاته ، والظلم ، والشرك ، والشك ، والعناد ، والكفر ، والتكذيب ميل عن طريق الحق والإيمان ، ومن ثم فإن ذلك كله إلحاد في دين الله ؛ لأنه عدول وخروج عن طريق الحق . وبالتحليل اللغوي لهذه المفردات يتبين التشابك الدلالي بينها وبين المعنى العام للإلحاد:

الظُّلْمُ : هو وَضْع الشيء في غير موضِعه ، وأصل الظُّلم الجَوْرُ ومُجاوَزَة الحدِّ ، والظُّلْم: المَيْلُ عن القَصد ، والعرب تَقُول :الْزَمْ هذا الصَّوْبَ ولا تَظْلِمْ عنه ، أي لا تَجُرْ عنه (١) ، وقد عرَّف ابن عباس الإلحاد بوضع الشيء في غير موضعه أي بالظلم (٢).

(١) ابن منظور : لسان العرب ١٢/ ٣٧٣

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ، ١٨٣/٧.

الشرك : هو أن يكون الشيءُ بين اثنين لا ينفردُ به أحدهما. يقال شاركتُ فلاناً في الشيء، إذا صِرْتَ شريكه. وأشركْتُ فلاناً، إذا جعلتَه شريكاً لك[1] ، والشرك بالله ميل عن طريق الإيمان وعدول عن الحق ، وبعد عن الاستقامة ، فهو نوع من الإلحاد العام .

والشكُّ: خلاف اليقين، وإنما سمِّي بذلك لأنَّ الشَّاكَّ كأنه شُكَّ له الأمرانِ في مَشَكٍّ واحد، وهو لا يتيقن واحداً منهما . والشك خلاف الظن، لا حكم فيه؛ لأنه تردد بين نقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر، أو هو استواء طرفي الشيء، وهو الوقوف بين الشيئين بحيث لا يميل القلب إلى أحدهما[2] . والشك في دين الله انحراف بيّن ، وعدول عن طريق الحق والإيمان ، ومن ثم فهو من الإلحاد العام .

والعَنِيدُ : هو المعرض عن طاعة الله ،يقال : عَنَدَ الرَّجُلُ يَعنُد ويَعْنِد عَنْداً عُنُوداً :أي عَتَا ، وطَغَى ، وجاوَزَ قَدْرَه ، و خَلَفَ الحَقِّ ورَدَّهُ عارِفاً بِهِ ، والعُنُود بالضّمّ : الجَوْرُ والمَيْلُ عن الحَقِّ [3] . والمُعانَدَةُ والعِنادُ أَن يَعْرِفَ الرجلُ الشيء فيأْباه ويميل عنه ، وكان كفر أَبي طالب مُعاندة ؛ لأَنه عرف وأَقَرَّ وأَنِفَ أَن يقال تَبِعَ ابن أَخيه ؛ فصار بذلك كافراً [4]، ولا شك أن هذا المعنى هو الإلحاد بمعناه العام .

---

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج، ٣، ص:٢٠٦ ، وانظر : الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان– بيروت، طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥، ص: ٣٥٤

(٢) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ، التعريفات ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، ص ١٢٨

(٣)تاج العروس من جواهر القاموس (٨/ ٤٢٣)

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص : ٣٠٧

والكُفْرُ بالضَّمِّ : ضِدُّ الإيمان ، وأَصلُ الكُفْرِ من الكَفْرِ بالفتح مَصدَر كَفَرَ بمعنى السَّتْر . والكُفْر على أَربعةِ أَنحاءٍ : كُفْرُ إنكارٍ ؛ بأَن لا يعرفَ اللهَ أَصلاً ولا يعترف به ، وكُفرُ جُحود ، وكُفر مُعانَدَة ، وكُفرُ نفاق ، من لقيَ ربَّهُ بشيءٍ من ذلك لم يَغْفِرْ له ويغفِرُ ما دونَ ذلكَ لِمَنْ يشاءُ[1]، . ولا شك أن هذا داخل في الإلحاد بمعناه العام (الميل والعدول عن الحق والقصد) .

والتكذيب : نقيض التصديق، وهو صفة لازمة عن الكفر ، فمن صفات الكفار التكذيب ؛ لذلك قُرِن التكذيب بالكفر والكافرين في القرآن الكريم في أكثر من موضع، كالتكذيب بآيات الله وإنكارها ، والتكذيب ميل عن طريق الحق ، وعدول عن الصدق فهو من الإلحاد بمعناه العام .

والإنكار من نكر : أي عدم الاعتراف بالشيء ، يقول ابن فارس : النون والكاف والرَّاء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف المعرفة التي يَسكُن إليها القَلب. ونَكِرَ الشَّيءَ وأنكَره: لم يَقْبَلْه قلبُه ولم يعترِفْ به لسانُه. والإنكار أشد أنواع الإلحاد ؛ لأنه ميل عن الحق بإنكار أصل الألوهية ، وهو المقصود بمصطلح الإلحاد في العصر الحديث .[2]

ثانيا : معنى الإلحاد في الاصطلاح

وهذا التشابك الدلالي بين مفهوم الإلحاد وبين المفاهيم السابقة ، هو الذي أدى إلى تنوع مفهوم الإلحاد في اصطلاح المفسرين ؛ فالإلحاد عند ابن عباس يأتي بمعنى الظلم ، والشرك ، والتكذيب ، وعند قتادة يأتي بمعنى

---

(١) الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ، بدون تاريخ وسنة طبع ، ١٤/ ٥٠

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٨٣

الكفر والعناد(١) . وهذا ليس له دلالة إلا أنهم يربطون بين المدلول العام للفظ الإلحاد وبين المدلولات الخاصة لهذه المفاهيم باعتبار أن الظلم ، والشرك ، والكفر، والطعن ، والجدال ميل عن طريق الحق ، فكلها لا تخلو من بعض الميل ، فلا يطعن أحد في شئ ، أو يجادل فيه ، أو يكفر به ، أو يشك فيه إلا إذا مال عنه وحاد . جاء في تفسير السراج المنير في تفسير قوله تعالى { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)} [الحج: ٢٥]: الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله ، وقيل : هو كل شيء منهيّ عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم ، وقيل : هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الإحرام من قتل صيد أو قطع شجر ، وقال ابن عباس : هو أن تقتل فيه من لا يقتلك ، أو تظلم فيه من لا يظلمك. وقال مجاهد : هو تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال سعيد بن جبير : احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية أنّ

(١) ذكر ابن جرير : أن أهل التأويل اختلفوا في تأويل قوله(يلحدون).فقال بعضهم: يكذّبون.، جاء عن ابن عباس، في قوله تعالي:(وذروا الذين يلحدون في أسمائه) الإلحاد: التكذيب. وقال آخرون: معنى ذلك: يشركون. وقال قتادة:(يلحدون): يشركون. انظر : جامع البيان في تأويل القرآن ٣٨٣/٣، وقد ذكر أيضا أن أهل التأويل اختلفوا في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام أذاقه الله من العذاب الأليم، فقال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به: أي بالبيت. وذكر عن ابن عباس، قوله:(وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ) يقول: بشرك.وعن مجاهد، في قوله:(وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ) هو أن يعبد فيه غير الله. وعن قتادة الشرك ، وقال آخرون: هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه. السابق ، جـ ١٨ ، ص : ٦٠٠ وقال السمعاني في تفسيره " وقال ابن عباس : الكبائر سبع : الإشراك بالله ، وقتل النفس بغير نفس ، وقذف المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، يعني : إلى دار الحرب . وقال ابن عمر : الكبائر تسع فذكر هذه السبع وزاد شيئين أحدهما : السحر ، والثاني : الإلحاد في الحرم بالميل والظلم . " انظر : السمعانى ، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، تفسير القرآن ، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

٤٢٠/١

رسول الله ﷺ قال : "إنّ احتكار الطعام في الحرم إلحاد ، وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله بلى والله ، وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال: كنا نحدّث أنّ من الإلحاد فيه أن يقول الرجل : لا والله وبلى والله(١). وجاء في تفسير ابن كثير ، قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا } [فصلت: ٤٠]، قال ابن عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه.وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد(٢). وذكر الراغب الأصفهاني أن الإلحاد نوعان: إلحاد إلى الشرك بالله ، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب ، الأول ينافي الإيمان ويبطله ، والثاني يوهن عراه ولا يبطله(٣) . وهذا يعنى أن عموم الإلحاد هو الميل عن الحق سواء كان شركا بالله ونفيا لأصل الإيمان ، أو كان ممن لا يخرج عن ربقة الإيمان وكان ميلا عنه فحسب ، ومن ثم يمكن القول إن معنى الإلحاد في اصطلاح المفسرين : هو الميل عن الحق ، وإدخال ماليس في الدين فيه (٤). أو هو الميل عن القصد والعدل عن الاستقامة والانحراف عنها (٥).فالإلحاد في الأصل مطلق الميل والانحراف، ثم خص في العرف والشرع بالانحراف عن الحق إلى الباطل .

(١)الشربينى : محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين ، تفسير السراج المنير ، دار الكتب العلمية . بيروت ، بدون سنة طبع ، ٤٣١/٢

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١٨٣/٧

(٣) الأصفهانى : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ ، ص ٤٤٨

(٤)السمعاني ، تفسير القرآن ٢٣٦/٢

(٥) الرازي : محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، دار النشر / دار إحياء التراث العربى ، ٤١٧/١٥

أما الإلحاد بمفهومه المعاصر فيقصد به: إنكار وجود الله تعالى، والقول بأزلية المادة، وأن الكون لا خالق له ، ومن ثم يترتب عليه تكذيب الرسل والرسالات ، وإنكار البعث ، وعالم الغيب ، جاء في الموسوعة الإسلامية العامة : الإلحاد : الشك في أمر الله أو في أمرٍ من المعتقدات الدينية [1].

المطلب الثاني: خصوصية التفكير الإلحادي وأهم شخصياته عبر التاريخ :

هذا المطلب هو عبارة عن تقديم صورة موجزة عن التفكير الإلحادي وأهم شخصياته عبر التاريخ، وليس المقصود منه استقصاء هذه الظاهرة؛ لأنها ليست موضوع البحث الحالي .

أولاً: خصوصية التفكير الإلحادي:

إذا أُطلق لفظ الإلحاد – كما أشرنا في المبحث الأول من التمهيد – انصرف الذهن من فوره إلى الشك في الله وفي جميع المعتقدات والمسلمات الدينية؛ فهي لفظة ذات أصل مادي، اعتنقها الوجوديون والشيوعيون والماديون والدهريون وغيرهم من معتنقي التفكير الإلحادي(٢).

هذا التفكير له خصائص تناقض خصائص التفكير الإيماني وخصوصياته. هذه الخصائص يمكن إيجازها في الآتي:

١- إنكار وجود الله تعالى، وبالتالي إنكار وحدانيته، وإنكار الرسل والبعث، فالعالم عندهم قديم وأزلي، موجود بنفسه، ويتكامل ويرتقي ويتطور بذاته

(١) الموسوعة الإسلامية العامة ، إشراف د محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، مصر ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م .

(٢) انظر، شوقي إبراهيم عبد الله، الإسلام في مواجهة شبهات الماديين، مجلة دراسات إسلامية، ع ٦، ١٤٢٣ هـ، ص ١٨.

دون خالق أو صانع(١)، يقترب من ذلك نظرية داروين في النشوء والتطور.

هذه الخصيصة تناقض خصوصية التفكير الإيماني، وهي الإيمان المطلق بوجود خالق وصانع لهذا الكون وهو الله تعالى، وما يترتب على ذلك من أمور أخرى كالإيمان بالبعث، والرسل، والملائكة.

٢- الاعتقاد بالعقل في الهداية والإرشاد، فالعقل في التفكير الإلحادي هو منبع كل شيء، ومن ثمَّ فلا حاجة للرسل والصالحين.

٣- الإنكار العام لكل المعتقدات الدينية، خاصة مسألة الحساب والبعث، ولذا يسأل أصحابه ومعتنقوه باستغراب "أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا إنا لمبعوثون، أو آباؤنا الأولون" [الصافات: ١٦ – ١٧]. وقد جاء هذا الاستغراب والإنكار في أكثر من موضع في القرآن(٢).

٤- إنكار بعض المعتقدات والإيمان بالأخرى، كالإقرار بالخالق وإنكار البعث، والإقرار بالصانع الخالق وإنكار الرسل؛ لأنهم – من وجهة نظر معتنقي هذا التفكير – شفعاء عند الله في الآخرة.

ثانيًا: أهم شخصيات التفكير الإلحادي:

نشير بداية إلى أن التفكير الإلحادي لم يختص به عصر دون آخر، وإنما شمل جميع العصور التاريخية حتى وقتنا الحالي.

التاريخ اليوناني: شهد هذا العصر العديد من رجالات الإلحاد منهم (ديموقريطس) صاحب المذهب الذري، الذي يرى من خلاله أن الكون مادة

---

(١) انظر، عبد الرحمن حسن حنبكة، نظريات حول قضيتي الإلحاد والإيمان، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، مج ٥، ص ١٧.

(٢) ومثاله الواضح في سورة الواقعة (آية ٤٧ – ٤٨).

وحركة، مؤلف من ذرات متجانسة، هذه الذرات أزلية لا أول لها، ومتحركة بذاتها منذ الأزل(١)، ومنهم (بروتاجوراس) زعيم السوفسطائيين، الذي ذهب إلى أن الإنسان هو مقياس كل شيء(٢).

التاريخ الروماني: وكان ذلك على يد (لوقريطس) الذي تبنى أفكار (ديموقريطس) وأعاد إحيائها، فأنكر وجود خالق للكون، وزعم أن الروح والعقل هما نتاج مادي بحت(٣).

التاريخ العربي والإسلامي: تحدث القرآن الكريم عن وجود ملحدين قبل الإسلام، هؤلاء الملحدون يجعلون الدهر أساس كلّ شيء ومنبعه، وهم الذين أشار إليهم المولى تعالى في قوله: "وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا تموت ونحيا وما يهلكنا إل لدهر"[الجاثية: ٢٤]

وقد شهد التاريخ الإسلامي وجود عدد من الملحدين اتخذ صورًا عدة منها : الزندقة، والنفاق، وإن كان الإلحاد في الإسلام يختلف عن إلحاد المفكرين الغربيين – القدامى والمعاصرين – الذين هدموا فكرة الإلوهية ذاتها، أما الملحدون في تاريخ الإسلام فتركزت دعواتهم حول إنكار ب السماوية كابن الراوندي(٤)، أو الانضواء تحت لواء الإسلام ظاهريًا واعتناق ديانة الآباء

(١) انظر عبد العزيز حسين، بين الإلحاد والتوحيد قضية دفاع، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٨.

(٢) انظر، مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤٧.

(٣) محمد أحمد باشميل، كيف نحارب الإلحاد، د.ن، ١٩٦٧، ص ٦.

(٤) انظر، عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ابن سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٩٢.

والأجداد كابن المقفع الذي اعتنق الديانة المجوسية(١)، مع اختلاف العلماء حول هذه الحقيقة، ومنهم من انحصر فكرة حول قيمة العقل وقدرته على اكتشاف الخير والشر، وبالتالي لا حاجة للإنسان للرسل كمحمد بن زكريا الرازي(٢).

وتجدر الإشارة – هنا – إلى أن الإلحاد في تاريخ الإسلام كان نتيجة لعوامل فكرية عدة، منها العصبية القبلية، والرغبة في الفرار من التكاليف الدينية كالزنادقة والشعراء الماجنين(٣).

العصر الحديث: شهد العصر الحديث ظهور عدد كبير من الملحدين، نتيجة لأسباب عدة منها النهضة الفكرية والحضارية التي شهدتها أوروبا، والتقدم العلمي المذهل، والاعتماد الكلي على العقل والمادة، إضافة إلى عوامل أخرى معنوية اجتاحت العالم المعاصر منها إحساس الإنسان بالغربة والتناقضات الضدية حوله.

كلُّ هذه الأسباب أدت إلى ظهور عدد من الملحدين، منهم (كارل ماركس)، الذي يؤمن بالحتمية التاريخية، فلا إله موجود والحياة مادة(٤)، ومنهم (لينين) الذي زعم فكرة وجود إله ينظم الكون فكرة خرافية لا وجود لها(٥).

وقد تطورت أفكار هؤلاء الملحدين، واتخذت ثوبًا جديدًا في عام (٢٠٠٦) تحت مسمى (الإلحاد الجديد) وزعيمه (ريتشارد دوكنز)، وأصحاب هذا الفكر

(١) انظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١، ص ٢٤٧.

(٢) انظر عبد الرحمن بدوي، تاريخ الإلحاد في الإسلام، سابق، ص ٢٣٥ – ٢٥٠.

(٣) انظر السابق، ص ٢٢٧.

(٤) انظر شوقي عبد الله، الإسلام في مواجهة شبهات الماديين، سابق، ص ١٨.

(٥) ينظر: عبد الرحمن حنبكة، نظريات حول قضيتي الإلحاد والإيمان، سابق، ص ١٦.

ينكرون التعايش بين الإلحاد والدين، وتبني أصحابه الهجوم على الأديان الأخرى والسخرية منها خاصة الإسلام بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وذهب أصحابه أنهم تحولوا إلى ملحدين أصوليين ضد الإسلام، كما ذهبوا إلى أنهم ليسوا الأدينين، بل إنهم ضد الدين، فالدين بالنسبة لهم يسمم كل شيء(١).

ولا يزال – في اعتقادي – الطريق مفروشًا وممهدًا لظهور أشكال جديدة من الإلحاد، وشخصيات أخرى تطور أفكار الملحدين السابقين وتضيف إليها، خاصة بعد التأثير الواضح للثقافة الغربية على مجريات حياة وفكر المسلمين ومحاولاتهم المستمرة للتغريب .

وبناء على ما سبق عرضه من خصوصية الإلحاد وأهم أفكار رجالاته القدامى والمعاصرين، يمكن القول بأن الطريق إلى إقناع الملحدين المعاصرين لا يمكن أن يكون هو نفسه الطريق الذي سلكه القدامى في إقناعهم، فلابد أن تحتل المعطيات العلمية مكانها جنبًا إلى جنب مع الأساليب القرآنية في الرد على الملحدين المعاصرين.

(١) انظر عمر وشريف، وهم الإلحاد، هدية مجلة الأزهر، عدد محرم ١٤٣٥ هـ، ص٢٨ – ١١٣.

المطلب الثالث : منهج القرآن العام في الرد على المخالفين

في مسائل الاعتقاد بصفة عامة والملحدين بصفة خاصة

تمهيد:

لاشك أن دعاوى المخالفين والملحدين في نقض مسائل الاعتقاد الثابتة في القرآن والسنة واحدة وإن اختلفت الصور والأساليب؛ بغية تشويه الاعتقاد ومسائله "وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ" (البروج، ٢٠).

هؤلاء الملحدون لا يستسلمون بسهوله ويسر، ولا يقتنعون إلا بالحجة والدليل الدامغ، فهم كلما أخفقت لهم وسيلة ابتكروا وسائل أخرى، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

يقول الزركشي: "اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به ... فاخرج تعالى مخاطباته في حاجة خلقه من أجل صورة تشتمل على أدق دقيق؛ لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء"(١).

ولاشك في أن دعاوى هؤلاء الملحدين في مسائل الاعتقاد قد اتخذت صورًا عدة بالرفض.

---

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ج٢، ص ٢٤.

من مجمل الأدلة والردود السابقة – وغيرها كثير مما لا يتسع المجال لسرده– التي انتهجها القرآن الكريم في الرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد وغيرهم، يمكن القول بأنها ردود كافية للبرهنة على كذب دعاوى الملحدين في هذه المسألة، وهذا ما أكده كثير من العلماء والأئمة على اختلاف مشاربهم وأفكارهم ومناهجهم(١)، حتى إن الرازي سجل في وصيته كفاية الأدلة القرآنية في هذه المسألة وغيرها بقوله: "لقد اختيرت الطرق الكلامية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم"(٢).

وهو الأمر نفسه الذي أكد عليه ابن تيمية بأن الأدلة القرآنية "فيها من الحق، وما هو أكمل وأبلغ على".(٣).

ويستطيع مَنْ يتدبر آيات القرآن أن يتبين أنه قد تضمن البرهنة العقلية والفطرية والحسية – كما سنوضح في المبحث الثاني – في الرد على المخالفين والملحدين في مسائل العقيدة، فما من دعوة مخالفة وملحدة إلا ولها ردّ في القرآن بالبرهان والتحديد والتقسيم، يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق بها(٤).

---

(١) انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ١ / ٣٠٨، وعضد الدين الإيجي، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ١٩٩٧، ٢٥١.

(٢) فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢ هـ، ص ٩.

(٣) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت . (٣).

(٤) انظر: جلال الدين السيوطي، إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، ١٩٦٩، ص ٤٥٦.

وتجدر الإشارة – قبل الخوض في منهج القرآن العام في الرد على المخالفين والملحدين في مسائل القرآن – إلى أن البراهين القرآنية في هذه المسألة تتسم بسمات عدة، يمكن إجمالها في الآتي:

من المسلم به أن العقول البشرية تتفاوت فيما بينها في القدرات، فمن الناس مَنْ لا يقتنع إلا بالبرهان، ومنهم مَنْ يجادل حتى يقتنع بخطأ نظرته ورأيه، وبالتالي الاقتناع بالرأي الآخر، ومنهم – وهم الغالبية – مَنْ يقتنعون مباشرة دون حاجة إلى دليل أو جدال.

وقد جاء القرآن الكريم بالأساليب والحجج التي تناسب تفاوت القدرات العقلية، فخاطب كلَّ صنف على قدر عقله "بحيث لا يعلو على مدارك الجميع، يجد فيه المثقف بغيته، والفيلسوف طلبته، والعامة من سواء الشعب غايتهم"(١).

وقد سبق ابن رشد المعاصرين في بيان هذه الميزة القرآنية بقوله عن القرآن الكريم إنه: "اشتمل على أصناف الدلائل الخطابية منها والجدلية، والبرهانية، فالمرء إذا كان من أهل البرهان فقد جعل له سبيل التصديق بها بالبرهان، وإن كان من أهل الجدل فبالجدل، وإن كان من أهل الموعظة فبالموعظة"(٢).

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ٢٠١٠، ص ٦١.

(٢) ابن رشد، فصل المقال، حققه في كتاب الكشف عن مناهج الأدلة، لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧.

١ - سهولة البراهين ووضوحها:

لقد أتى الدليل القرآني في مواجهة المخالفين والملحدين في مسائل الاعتقاد في أسلوب سهل واضح لا غموض فيه ولا استعجام.

هذا الأمر أكد عليه كثير من العلماء، الذين بهرهم سهولة أدلة القرآن في هذه المسائل، فقد جاء برهان القرآن فيها – كما يقول القاضي عبد الجبار – "بألفاظ سهلة قليلة تحتوي على معان كثيرة"(١)، فبراهين القرآن – إذن – واضحة جلية لا تستعصي على الأفهام، فأدلة القرآن – كما يقول الغزالي – "مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان ... بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً"(٢).

٢ - بناء قواعده على أساس من البرهان واليقين:

وهذا يعني أن منهج القرآن في الرد على الملحدين في مسائل العقيدة يصير وفق مقدمات صحيحة، يتبعها استدلال سليم، وتنتهي بنتائج صحيحة ويقينية، أي أنها تجرى وفق قواعد العقل السليم كما حث على الفكر والتفكر .

ومن ثمَّ فإن المنهج القرآني يأتي من البرهان القوي الذي يرضى جميع العقول، فالله قادر على أن يخاطب أصحاب العقول كالفلاسفة – وأصحاب

(١) محمد بن إبراهيم الوزير، ترجيح أساليب القرآن على أساليب المبتدعة واليونان، المعاهد الأزهرية، ١٣٤٩ هـ، ص ٢١.

(٢) أبو حامد الغزالي، إلجام العوام عن علم الكلام، إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية، الكويت، ٢ / ٨٨.

القلوب والوجدان – كالشعراء – وأن يمزج في خطابه بين متطلبات العقل ومتطلبات القلب، وهذا ما نجده في القرآن الكريم(١).

وبالتالي فإن البراهين والأدلة القرآنية في مسائل الاعتقاد ينتج عنها التصديق اليقيني "وذلك أن طباع الناس متفاضلة في التصديق فمنهم من يصدق البرهان ... ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية ... وذلك أنه لما كانت شريعتنا الإلهية قد دعت الناس من هذه الطرق، ثمَّ التصديق بها كلّ إنسان، إلا مَنْ يجحدها عنادًا بلسانه، أو لم تقرر عنده طرق الدعاء فيها إلى الله تعالى لإغفاله لذلك من نفسه"(٢).

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن منهج القرآن في الرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد يتميز بان طرقه "جمعت بين وصفين: أحدهما أن تكون يقينية، والثاني: أن تكون بسيطة غير مركبة. أعني قليلة المقدمات، فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأولى"(٣).

وبعد هذا التمهيد لخصائص ومميزات البراهين القرآنية في الرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد، نستطيع من خلالها بيان منهج القرآن العام في الرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد في الآتي(٤):

---

(١) انظر، محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، مطبعة السعادة، القاهرة،/ ١٣٨٩ هـ، ص ١٠٩.

(٢) ابن رشد، فصل المقال، سابق، ص ١٩.

(٣) ابن رشد، مناهج الأدلة، حققه مع كتاب فصل الخطاب، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٤٩.

(٤) استفدنا في هذه الجزئية ببعض ما ذكره د. علي بن عبد الله القرني، في بحثه: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد، مجلة تبيان للدارسات القرآنية ع ١٥، ١٤٣٥ هـ.

أولاً: المجادلة بالتي هي أحسن:

قال تعالى [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)] [النحل: ١٢٥].

يقول ابن القيم في تفسير هذه الآية: "جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعي بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة. وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. والعامد الجاحد: يجادل بالتي هي حسن"(١). والمجادلة بالتي هي أحسن هي المحجاجة والمناظرة بالحجة والبيان، واللين(٢).

ثانيًا: القول الحسن للناس كافة:

قال تعالى: [وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا] [البقرة: ٨٣] والدليل على ذلك أن موسى وهارون مع جلال منصبهما في النبوة والرسالة أمرًا بالرفق واللين مع فرعون، وكذلك محمد ﷺ مأمور بالرفق وترك الغلظة وكذلك قوله تعالى: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ] (النحل: ١٢٥) وقال تعالى: [وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ] (الأنعام: ١٠٨) وقوله: [وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا] (الفرقان: ٧٢) وقوله: [وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] (الأعراف: ١٩٩)، ويقول الرازي: "قال أهل التحقيق: "كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية، فإن كان

---

(١) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفي: ٧٥١ هـ)، تفسير القرآن الكريم، مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، ص ٣٥٩.

(٢) السمر قندي: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمر قندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، دار الفكر، بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي، ج٢، ص ٢٩٧.

في الأمور الدينية فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفاسق، أما الدعوة إلى الإيمان فلابد وأن تكون بالقول الحسن، كما قال تعالى لموسى وهارون: [فَقُولا لَهُ قَوْلا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى](طه: ٤٤) أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما عليهما السلام ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى، وقال لمحمد ﷺ: [وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ] (آل عمران: ١٥٩)، وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر، قال تعالى [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ] (النحل: ١٢٥)، وقال: [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] (فصلت: ٣٤)، وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا تحت قوله: [وقولوا للناس حسنًا]" (١).

ثالثًا: الحصر والتعليل:

وهو ما يطلق عليه: السبر والتقسيم، أو التقسيم والترديد، أو الشرطي المنفصل، وغيرها من المسميات(٢)، والتي نعنى بها حصر كلام الملحدين في مسائل الاعتقاد والرد على ما يصلح منها وتعليله وإبطال غير ذلك(٣).

وقد لجأ القرآن الكريم لهذا الأسلوب في الرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد، ومن ذلك مسألة الخلق في قوله تعالى: [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ

---

(١) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، مفاتيح العيب: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م، ج٣، ص ٥٦٧.

(٢) انظر، محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ ٣ / ٤٩٢.

(٣) انظر، محمد عبد الرؤوف المناوي، التعاريف، تحقيق: محمود رضوان، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠ هـ، ص ٣٩٦.

هُمُ الْخَالِقُونَ] [الطور: ٣٥]، فالقرآن الكريم في رده على الملحدين في هذه المسالة يلجأ إلى أسلوب ودليل الحصر والتعليل "فكأنه تعالى يقول: لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح":

الأولى: أن يكونوا خلقوا من غير شيء أي بدون خالق أصلاً.

الثانية: أن يكونوا خلقوا أنفسهم.

الثالثة: أن يكون خالقهم خالقًا غير أنفسهم.

وحصر أوصاف المحل في الأقسام الثلاثة قطعي لا شك فيه ولا رابع لها البتة، وإبطال القسمين الأولين قطعي لاشك فيه، فتعين أن الثالث حق لا شك فيه، وقد حُذف في الآية لظهوره، فدلالة هذا السير والتقسيم على عبادة الله وحده قطعية لاشك فيها(١).

رابعًا: استخدام أسلوب الاستفهام التقريري:

يقصد بالاستفهام – عمومًا – السؤال عن شيء وطلب الإجابة عليه، وقد يخرج الاستفهام إلى أغراض أخرى – ليس هذا مجالها – حددها البلاغيون في كتبهم.

من هذه الأغراض التقرير، أي تقرير أمر ما لا يمكن إنكاره أو إجحاده، فالمقصود بالاستفهام التقريري "الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يحددها، وهي تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بإنكار الباطل"(٢).

(١) الشنقيطي، أضواء البيان، سابق ٣ / ٤٩٤ – ٤٩٥.

(٢) السابق، ٣ / ٤٩٢.

ويعد هذا الأسلوب من أنجح الوسائل القرآنية في الرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد؛ لأن القرآن من خلاله لا يكتفي بتسليم الملحدين بما استفهم عنه، وإنما يتعدى ذلك إلى دعوتهم إلى التسليم المطلق بما جاء به؛ لأن الاستفهام التقرير "يحمل المخاطب على الاعتراف، وينتزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام، وهذا الاعتراف هو ما يريده المُستفهم؛ لأنه يؤكد حجته ويبطل حجة خصمه"(١).

وقد ورد هذا الأسلوب فق مواضيع عدة من القرآن الكريم، من خلال توجيه أسئلة تقريرية للملحدين وغيرهم في مسائل الاعتقاد المتعددة، ولعل سورة يونس قد جمعت عدداً لا بأس به من هذا الأسلوب، حيث يقول المولى تعالى "قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" [يونس: ٣١-٣٦].

---

(١) عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٣ هـ، ص ١٧٢.

خامسًا: أسلوب القص:

للقصة في القرآن الكريم أهداف وغايات، فليس المقصود بها التسلية، أو تحقيق منفعة معينة كما هو الحال في عالم القص والحكي، وإنما هي قصص وصفها المولى تعالى بأنها احسن القصص، فكان لها تأثيرها الذي لا يمكن إنكاره دنيويًا وأخرويًا.

وقد تضمن القرآن الكريم العديد من تلك القصص، التي اتخذها وسيلة للرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد، سواء ما جاء منها على لسان الرسل، لتأكيد دليل أو لوصية يوصون بها، أم ما جاء على ألسنة الصالحين وغير الصالحين، أم ما جاء على لسان الحيوان، وكلها قصص تثير الانتباه إلى التفكير فيها، ومن ثمّ التسليم المطلق لما تضمنته لمن كان له عقل راجح وقلب سليم(١).

فمن القصص الواردة على ألسنة الأنبياء قصة نوح (عليه السلام) مع قومه حين ربط السبب بالمسببات.

قال تعالى: ["إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ] [نوح ١-٤].

ومن القصص الواردة على لسان الطيور، ما كان من قصة سليمان (عليه السلام) مع الهدهد وحكايته مع أهل سبأ وملكتهم بلقيس، قال تعالى

---

(١) انظر، عثمان علي حسن، منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، دار إشبيليا، ط١، ١هـ / ٣٩٦ – ٣٩٧.

[وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ] [النمل: ٢٠ – ٢٢].

سادسًا: الاستعانة بالأمثال:

يدور مفهوم المثل في اللغة حول دلالات عدة، وإن كانت متقاربة في مجملها منها: الشَّبيه، والنظير، والمثل ... وغيرها من الدلالات(١). أما في الاصطلاح، فيدور معناه حول: قول محكى سائر يقصد به تشبيه الحال أو المحادثة بالحال أو الحادثة التي قيلت من أجله(٢).

وقد جاء رد القرآن على الملحدين في مسائل الاعتقاد بالاعتماد على الأمثال لإبطال حججهم وإقناعهم بالحق الذي لا مراء فيه، وذلك في أكثر من موضع وكشف عن الحكمة من ورائها.

كما في قوله تعالى: [وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] [الزمر: ٢٧]، وقوله تعالى: "وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ" [العنكبوت: ٤٣].

(١) انظر، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، د.ت، مادة [مَثَلَ].

(٢) انظر، عبد المجيد عابدين، الأمثال في النشر العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٨.

وإذا كانت الأمثال البشرية يتصف بالإيجاز والفصاحة فإن الأمثال القرآنية تتميز بالإحكام والبراهين القاطعة المقنعة في كافة شئون الاعتقاد والحياة(١).

وقد لجأ القرآن إلى الاعتماد على وسيلة ودليل الأمثال في الرد على الملحدين في مسائل الاعتقاد لما يأتي :

ميل النفس الإنسانية إلى ضرب الأمثال والاستشهاد بها "بما فيها من جمال حكمتها ورشاقة لفظها، وإصابتها المعنى، وطرافتها التي تتجدد ولا تبلى، مما نرى أثره في وجوه السامعين لها وإقبالهم عليها وتسليمهم بحكمها"(٢).

تعتمد الأمثال في بنائها على مورد ومضرب، فالمورد هو الحالة التي قيلت فيها، أما المضرب فهو الحالة الأخرى المشابهة للحالة الأولى(٣)، وبالتالي فالأمثال من خلال هذا البناء "وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل إنما هو في الحقيقة يقين الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، ومسلم لديه، ومن ثمَّ لزم التسوية بينهما في الحكم وتحقق الإلزام به"(٤).

---

(١) انظر، عبد الله عبد الرحمن الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عمارة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٤هـ ١/ ١٣٤.

(٢) عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة القرآنية، سابق، ص ٢٩٩.

(٣) انظر، عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، دراسة تحليلية، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨، ص ١٤-١٥.

(٤) عبد الغني بركة، أسلوب الدعوة، سابق، ص ٢٩٩.

وقد كثرت الموضوعات التي ردّ فيها القرآن الكريم على الملحدين في مسائل الاعتقاد، من خلال ضرب الأمثال، منها ما يتصل بعبادة غير الله، قال تعالى: "ضَرَبَ لَكُم مَّثَلا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" [الروم: ٢٨].

فالمثل السابق احتج به القرآن على الملحدين في أهم مسائل الاعتقاد: عبادة الله، من خلال ضرب المثل مشاركة عبيدهم لهم في الأموال والأهل؛ لأنهم لن يرضوا بذلك، فيكون الجواب: إذا كنتم تنوهون أنفسكم عن مشاركة أمثالكم في البشرية مما تملكون، فكيف تجعلون عبيد الله شركاء له "فإذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكه السادة بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه، والخلق كلهم عبيد الله تعالى، ولم يبق إلا أنه الرب وحده لا شريك له"(١).

ويتصل ضرب الأمثال في القرآن ببيان عجز الآلهة المعبودة من غير الله، كما في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ] [الحج: ٧٣].

فضرب هذا المثل يقطع الشرك في قلوب الملحدين وغيرهم. قال ابن القيم: "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قبله، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع لما يره وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله

---

(١) محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٤ هـ ١/ ١٢٣.

لن تقدم على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فيكف ما هو أكبر منه؛ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله"(١).

سابعًا: إثبات كذب دعاوى الملحدين:

وذلك من خلال إقامة الحجة عليهم، ومن ذلك قوله تعالى: [قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ] [البقرة: ٩٤].

فالآية السابقة تثبت كذب دعوى الملحدين حول خلو الدار الأخرة لهم واستحقاقهم لها دون غيرهم ، وذلك بإقامة الحجة والدليل على كذبها من خلال مطالبتهم بتمني الموت إن كانت دعواهم حقيقية "لأن الحبيب لا يكره لقاء حبيبه، والأبن لا يكره لقاء أبيه، لاسيما إذا علم أن كرامته ومثوبته مختصة به، بل أحب شيء إليه لقاء حبيبة وأبيه، فحيث لم يجب ذلك ولم يتمنه فهو كاذب في قوله مبطل في دعواه"(٢).

ثامنًا: إثبات تناقض الملحدين:

لأن دعاوى الملحدين غير ثابتة الدعائم، وليس لها حقيقة قائمة تثبت أمام العقل والدليل والحجة، فإن الملحدين كثيراً ما يقعوا في متناقضات في كلامهم بإثبات شيء ونفيه في الوقت نفسه، ولذا لجأ القرآن في الرد عليهم

(١) السابق ١/١٣٩.

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق البشير عيون، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ ٢/٤٥٠.

من خلال أقوالهم ودعواهم، وهو ما يعرف بالإسجال والماردية: "أن تثبت على لسان خصمك ألفاظًا في سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار"(١).

ومما ورد في القرآن اعتمادًا على هذه الطريقة قوله تعالى: [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ] [البقرة ١١–١٣].

وقد أخذ القرآن على الملحدين وغيرهم في هذه الآية ما يناقض كلامهم ودعواهم، وقد أسجل القرآن عليهم أربع إسجالات تبطل دعواهم: "أحدها تكذيبهم، والثاني: الأخبار بأنهم مفسدون، والثالث: حصر الفساد فيهم بقوله: وهم المفسدون، والرابع: وصفهم بغاية الجهل وهو أنه لا شعور لهم البتة بكونهم مفسدين"، وأما السفهاء الذين لا عقل يميزون به بين النافع والضار فلا يجب علينا موافقتهم، فرد الله تعالى عليهم وحكم للمؤمنين وأسجل على المنافقين بأربعة أنواع: أحدها: تسفيههم، والثاني: حصر السفه فيهم، الثالث: نفي العلم عنهم، الرابع: تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من الأخبار عن سفه أهل الإيمان، وخامس أيضًا: وهو تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من دعواهم التنزيه من السفه(٢).

(١) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٧ هـ ١٩٦١/٥.

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، سابق ٤٣١/٢ – ٤٣٢.

تاسعًا: أسلوب التعجيز:

ونعني به مطالبة الملحدين في مسائل الاعتقاد بالإتيان بدليل قاطع على دعواهم(١).

وقد اتبع القرآن الكريم هذا الأسلوب في أكثر من موضع، بداية بذكر عجزهم عن إقامة الدليل على صحة دعواهم [قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين] [البقرة – ١١]، ثم ضرب الأمثلة على هذا العجز، كما في قوله تعالى: [وقال لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين] [البقرة – ١١١]، وقوله تعالى [أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم] [الأنبياء: ٢٤].

والمجادلة تارة، والإنكار تارة أخرى، ومن هنا وقف القرآن الكريم أمام تلك الدعاوى والصور، فألجم أصحابها ومعتنقيها، بالحس والعيان، وعارضهم بأسلوب مقنع، واستدلال ملزم، وجدل محكم(٢)، وفق منهج رباني يقوم على الموعظة والمجادلة بالحسنى، قال تعالى [وجادلهم بالتي هي أحسن]، وهي تنبذ العنف والتطرف، وتقيم الدليل الدامغ، وتهدم تلك الدعاوى واحدة تلو الأخرى، حتى تصل إلى مرحلة الإنذار [فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود] [فصلت: ١٣].

---

(١) انظر، عثمان حسن، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، مكتبة الرشيد، ط٣، ١٤١٥ هـ ٢/٦٩١.

(٢) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ٢٠١١، ص٣٠٩.

أحسن وجه، مع تنزهه عن الأغاليط الكبيرة الموجودة عند هؤلاء – يقصد أهل الكلام والفلسفة – (١).

ومن ثمَّ يمكن القول – بناءً على ما سبق – بأن الردود القرآنية على الملحدين في مسائل الاعتقاد كانت كافية البراهين في إثبات كذب دعواهم، وأنه ما من دعوى من هذه الدعاوى إلا وفي القرآن الكريم ردّ ودليل على كذبها.

(١) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، ص ٢٢١.

المبحث الأول:

الإلحاد والملحدون في آيات القرآن الكريم

المطلب الأول :- آيات الإلحاد والملحدين " استقراء وتحليل "

النـــوع الأول : الآيـــات الصـــريحة التـــي ذكـــرت الإلحـــاد والملحـــدين وأهم موضوعاتها .

النوع الثاني : الآيات العامة التي ذكرت الإلحاد والملحدين وأهم موضوعاتها.

النوع الثالث : آيات قصصية تذكر نماذج من جدل الملحدين .

١- قصة النمرود .

٢- قصة فرعون.

٣- قصة صاحب الجنتين .

المطلــب الثــاني : أســباب الإلحــاد وأنواعــه وأهــم قضــاياه وآثــاره وأقســام الملحدين .

أولا أسباب الإلحاد .

ثانياً : أنواع الإلحاد .

ثالثا : أقسام الملحدين .

رابعاً :آثارالإلحاد .

خامسا: أهم قضايا الإلحاد.

المطلب الثالث : أساليب القرآن الكريم في مخاطبة الملحدين .

المطلب الأول :- آيات الإلحاد والملحدين " استقراء وتحليل "

النـوع الأول : الآيـات الصـريحة التـي ذكـرت الإلحـاد والملحـدين وأهـم موضوعاتها .

١ - {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)} [الأعراف: ١٨٠] والإلحاد في أسمائه تعالى هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها [(١)] ويقع في أسماء الله تعالى على وجوه[(٢)] :أحدها : إطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك أن المشركين سموا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان. [(٣)]

---

(١)ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، بدائع الفوائد ، : دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، جـ ١، ص :١٦٩

(٢) أنظر : الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، : دار الفكر – بيروت / لبنان –١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م ، جـ ٢ ص: ٣٢٠

(٣) الثعلبى : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م ، جـ٤ ، ص ٣١١ ، وجاء في بحر العلوم " قال تعالى " وذروا الذين يلحدون في أسمائه " قرأ حمزة " يلحدون " بنصب الحاء والياء وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء " يلحدون " فمن قرأ بالنصب فمعناه وذروا الذين يميلون في أسمائه يعني يحورون ويمارون في أسمائه ويعدلون فسموا اللات والعزى ومن قرأ بالضم فمعناه وذروا الذين يجادلون ويمارون في أسمائه " السمرقندي : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، بحر العلوم ، دار الفكر – بيروت تحقيق: د.محمود مطرجي ، جـ ١ ، ص : ٥٨٤وجاء في معالم التنزيل للبغوى " { وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ } هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من "الله" والعزى من "العزيز"، ومناة من "المنان"، هذا قول ابن عباس ومجاهد.وقيل: هو =

الوجه الثاني : وهو قول أهل المعاني أن الإلحاد في أسماء الله هو تسميته بما لم يسمّ به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لأن أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية ، فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعوا الله بأسمائه التي وردت في الكتاب والسنة [١]. فمن الإلحاد أن يسموه تعالى بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا : يا سخي يا رفيق ، لأنه لم يسمِّ نفسه بذلك. أو تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة [٢] ، فالفلاسفة يسمونه بالعلة الأولى والموجب بالذات ويعنون به أنه تعالى غير مختار في

=تسميتهم الأصنام آلهة. " البغوي : ، معالم التنزيل، جـ ٣ ص : ٣٠٧ ، وقال الشوكانى : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وذروا الذين يلحدون في أسمائه } قال : الإلحاد أن يدعو اللات والعزى في أسماء الله وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال : الإلحاد التكذيب وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في الآية قال : اشتقوا العزى من العزيز واشتقوا اللات من الله وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء في الآية قال : الإلحاد المضاهاة وأخرج ابن أبي حاتم عن الأعمش أنه قرأ يلحدون من لحد وقال تفسيرها : يدخلون فيها ما ليس منها وأخرج عبد الرزاق وابن حميد وابن جرير عن قتادة في الآية قال : يشركون ، انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢/ ٣٩٥) ، ، انظر ابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ جـ ٥ ص : ١٦٢٣

(١) جاء في معالم التنزيل للبغوي " وقال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يُسَمَّ به، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ.وجملته: أن أسماء الله تعالى على التوقيف ١٤١/ب فإنه يسمى جوادا ولا يسمى سخيا، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيما ولا يسمى رفيقا، ويسمى عالما ولا يسمى عاقلا وقال تعالى: "يخادعون الله وهو خادعهم"(النساء ١٤٢) وقال عز من قائل: "ومكروا ومكر الله"(آل عمران-٥٤)، ولا يقال في الدعاء: يا مخادع، يا مكار، بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم، فيقال: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا عزيز، يا كريم ونحو ذلك." انظر معالم التنزيل للبغوي ،جـ ٣ ص : ٣٠٧

(٢)النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تفسير النسفى ، تحقيق مروان محمد الشعار : دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥ ، جـ ٢ ص: ٧٨

فعله وخلقه وإيجاده تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فمن وصفه تعالى بوصف أو بصفة لم يرد بها النص فهو إلحاد [١].

الوجه الثالث : مراعاة حسن الأدب في الدعاء ؛ فلا يجوز أن يقال يا ضارّ يا مانع يا خالق القردة على انفراد بل يقال يا ضار يا نافع يا خالق الخلق. "جاء في تفسير روح البيان " {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ } أي : واتركوا الذين يميلون في شأنها عن الحق إلى الباطل إما بأن يسموه تعالى بما لم يسمِّ به نفسه ، ولم ينطق به كتاب سماوي ، ولا ورد فيه نص نبوي ، أو بما يوهم معنى فاسداً ، وإن كان له محمل شرعي ، كما في قول أهل البدو : يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه ؛ فإن أبا المكارم ،وإن كان عبارة عن المستجمع لصفات الكمال، إلا أنه يوهم معنى لا يصح في شأنه تعالى ، وكذا أبيض الوجه ،وإن كان عبارة عن تقدس ذاته عن النقائص المكدرة، إلا أنه يوهم معنى فاسداً". [٢]

الوجه الرابع : أن لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه ؛ فإنه ربما سماه باسم لا يليق إطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ، ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة.

والإلحاد في أسمائه سبحانه يكون على ثلاثة أوجه : إما بالتغيير كما فعله المشركون فإنهم أخذوا اسم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان

(١)الخلوتى : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، تفسير روح البيان ، دار إحياء التراث العربى جـ ٣ ص : ٢٨٠

(٢)الخلوتى ، تفسير روح البيان ، مرجع سابق ، جـ ٣ ص : ٢١٧

، أو بالزيـادة عليهـا بـأن يخترعـوا أسـماء مـن عنـدهم لـم يـأذن الله بهـا ، أو بالنقصان منها بأن يدعوه ببعضها دون بعض . [١]

وقد يراد الإلحاد في الصفات لا في الأسماء .قال بعض العلماء : المراد بالأسماء الحسنى الصفات العلى ، فإن لفظ الاسم قد يطلق على ما يسمونه الذات من صفاتها العظام ، يقال طار اسمه في الآفاق أي انتشرت صفته ونعته فكأنه قيل ولله الأوصاف. [٢] فيجوز أن يراد من قوله تعالى {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ } أي في صفاته ، فيصفونه بمشيئة القبائح ، وخلق الفحشاء والمنكر ، وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها [٣] .

وقد جمع ابن القيم رحمه الله ما يتعلق بالإلحاد في أسماء الله في خمسة أنواع ، يقول ابن القيم : " الإلحاد في أسمائه تعالى أنواع ، أحدها: أن تسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية ، والعزى من العزيز ، وتسميتهم الصنم ، إلها وهذا إلحاد حقيقة ، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة . الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله ،كتسمية النصارى له أبا ، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته ، أو علة فاعلة بالطبع ، ونحو ذلك . وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص ؛كقول أخبث اليهود إنه فقير ، وقولهم : إنه استراح بعد أن خلق خلقه ، وقولهم: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} ، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته . ورابعها: تعطيل الأسماء عن

---

(١)الشوكانى ، محمد بن على الشوكانى : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، بدون دار نشر ، جـ ٢ ، ٣٩٠

(٢)الخلوتى، تفسير روح البيان ، مرجع سابق ، جـ ٣ ص : ٢٨٠

(٣) أبو حيان الأندلسى : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م الطبعة : الأولى ، عدد الأجزاء / ٨ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمد النجولي الجمل جـ ٤ ص : ٤٢٧ ، ٤٢٨

معانيها وجحد حقائقها ؛كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانيا ؛ فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به ، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ، ولغة وفطرة ، وهو يقابل إلحاد المشركين ؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها ، فكلاهما ملحد في أسمائه ، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد ؛ فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب ، وكل من جحد شيئا عما وصف الله به نفسه ،أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر. وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه ، تعالى الله عما يقول المشبّهون علوا كبيرا ،فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة ؛ فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها ، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه ، فجمعهم الإلحاد ، وتفرقت بهم طرقه ، وبرَّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ، ولم يشبهوها بصفات خلقه ، ولم يعدلوا بها عمَّا أنزلت عليه لفظا ولا معنى ، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات ، فكان إثباتهم بريئا من التشبيه ، وتنزيههم خليا من التعطيل ،لا كمن شبه حتى كأنه يعبد صنما ، أو عطل حتى كأنه لا يعبد إلا عدما ، وأهل السنة وسط في النحل ،كما أن أهل الإسلام وسط في الملل ، توقد مصابيح معارفهم من: {شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب "[١].

---

(١)ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، بدائع الفوائد ، : دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، جـ ١، ص :١٦٩، ١٧٠

٢ - {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)} [النحل: ١٠٣] (١)

(١) سبب نزول هذه الآية أن كفار مكة قالوا : إنما يتعلم هذه القصص وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله ، وليس هو من عند الله كما يزعم ، فأجابهم الله بقوله : "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر" واختلفوا في ذلك البشر من هو؛ فقال ابن عباس : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام ، وكان نصرانياً أعجمي اللسان ، فكان المشركون يرون رسول الله (ﷺ) يدخل عليه ويخرج من عنده ، فكانوا يقولون :إنما يعلمه بلعام. وقال عكرمة : كان رسول الله (ﷺ) يقرىء غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش ، فكان يقرأ الكتب ؛ فقالت قريش : إنما يعلمه يعيش . وقال محمد بن إسحاق : كان رسول الله (ﷺ)، فيما بلغني ،كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب. وقال عبيد الله بن مسلمة : كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما : يسار ويكنى أبا فكيهة ، ويقال للآخر : جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة ، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل بمكة فربما مر بهما النبي (ﷺ) وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك : وكان رسول الله (ﷺ) إذا آذاه الكفار يقعد إليهما فيتروح بكلامهما ، فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما. وقال الفراء : قال المشركون إنما يتعلم محمد من عائش المملوك ، كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانياً ، وقد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجمياً ، وقيل : هو عداس غلام عتبة بن ربيعة ، والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه سلم وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه يضيفها لنفسه ، ويزعم أنه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك ، فأجاب الله عنه ، وأنزل هذه الآية تكذيباً لهم فيما رموا به رسول الله (ﷺ) من الكذب فقال تعالى :" لسان الذي يلحدون إليه " يعني يميلون ، ويشيرون إليه) أعجمي (يعني هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه ، وإن كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع أنه كان من العرب ، والعجمي منسوب إلى العجم ، وإن كان فصيحاً بالعربية والأعرابي الذي يسكن البادية ، والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب ، وهو منسوب إلى العرب) وهذا لسان عربي مبين (يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب ، هو أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام ومحمد (ﷺ) جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه ، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة ، فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه . انظر : الخازن : تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، جـ ٤ ص: ١١٥ ، ١١٦ ،وا نظر : تفسير مجاهد (١/ ٣٥٣) ، وتفسير البحر المحيط (٥/ ٥١٨) ، و البغوي : معالم التنزيل جـ ٥ ، ص : ٤٤

والإلحاد هنا بمعنى الإمالة والإشارة إلى شخص أجنبي والمعنى : لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بيّن ، وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ، ردّاً لقولهم وإبطالاً لطعنهم[١].

يقول ابن جرير الطبري : "يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلا منهم: إنما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه: يقول: تميلون إليه بأنه يعلِّم محمدا أعجميّ، وذلك أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدا هذا القرآن عبد روميّ، فلذلك قال تعالى (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) يقول: وهذا القرآن لسان عربيّ مبين. [٢] ،أي وهذا القرآن ذو بلاغة عربية ، وبيان واضح ، فكيف تزعمون أن بشرا يعلمه من العجم وقد عجزتم أنتم عن معارضة سورة منه وأنتم أهل اللسان العربي ورجال الفصاحة وقادة البلاغة[٣].

---

(١) أبو حيان الأندلسى : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م الطبعة : الأولى ، عدد الأجزاء / ٨ ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي ، د.أحمد النجولي الجمل جـ ٤ ص : ، ٤٢٩ ، وانظر : النسفى ، تفسير النسفى ، مرجع سابق ، جـ: ٢: ٤٣٢

(٢) ابن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق جـ ١٧ ، ص : ٢٩٨ ، السمرقندي ، بحر العلوم ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص : ٢٩٢ ، وانظر : الخلوتى : تفسير روح البيان ، مرجع سابق ، جـ ٥ ص : ٨٢

(٣)الشوكانى ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مرجع سابق ، ، جـ ٣ ، ٢٧٩

٣ - {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)} [الحج: ٢٥]

يأتي لفظ الإلحاد هنا بمعان متعددة : تجارة الأمير ، بيع الطعام بمكة ، احتكار الطعام بمكة ، ، الميل عن الإسلام [١]، الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله ، أو هو كل شئ منهي عنه من قول أو فعل ، كشتم الخادم ، القتل بغير حق ، تضاعف السيئات بمكة كما تتضاعف الحسنات، الميل إلى الظلم [٢] ، ولذلك فإن معنى الإلحاد بمعناه الخاص عند المعاصرين ،

(١) يقول اين كثير " وقال سفيان الثوري، عن عبد الله بن عطاء، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس في قوله: { ومن يرد فيه بإلحاد بظلم } قال: تجارة الأمير فيه.وعن ابن عمر: بيع الطعام بمكة إلحاد.وقال حبيب بن أبي ثابت: { ومن يرد فيه بإلحاد بظلم } قال: المحتكر بمكة. وكذا قال غير واحد.وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري، أنبأنا أبو عاصم، عن جعفر بن يحيى، عن عمه عمارة بن ثوبان، حدثني موسى بن باذان، عن يعلى بن أمية؛ أن رسول الله ﷺ قال: "احتكار الطعام بمكة إلحاد".وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، حدثني سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس في قول الله: { ومن يرد فيه بإلحاد بظلم } قال: نزلت في عبد الله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين، أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس، فقتل الأنصاري، ثم ارتد عن الإسلام، وهرب إلى مكة، فنزلت فيه: { ومن يرد فيه بإلحاد بظلم } يعني: من لجأ إلى الحرم بإلحاد يعني بميل عن الإسلام." انظر : اين كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ٥ ص، ٤١٢

(٢) جاء في لباب التأويل في معاني التنزيل :" ومن يرد فيه (أي في المسجد الحرام) بإلحاد بظلم (أي يميل إلى الظلم قيل الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله. وقيل : هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم. وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر. وقال ابن عباس : هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك. وقال مجاهد : تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل : احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية أنّ رسول الله (ﷺ) قال : (إنّ احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه) أخرجه أبو داود وقال عبد الله بن مسعود في قوله ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) نذقه من عذاب أليم (قال لو أنّ رجلاً همّ بخطيئة لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو أنّ رجلاً =

وهو إنكار وجود الله ، وما يترتب عليه من إنكار للبعث واليوم الآخر ، يمكن أن يدخل ضمن معانى لفظ الإلحاد الواردة في الآية الكريمة ، باعتبار أن الإلحاد كما ذكر المفسرون ، ميل عن الإسلام ، أو هو الشرك وعبادة غير الله . أو هو الظلم والتكذيب ، فهل هناك ظلم وتكذيب أشد من إنكار الخالق جل شأنه ؟ يقول الشيخ محمد الشوبكى :" المراد بالملحد في الحرم: هو الذي يميل ويحيد عن دين الله تعالى في الحرم، ويعم ذلك كل ميل عن الدين؛ ويدخل في ذلك: الكفر بالله والشرك به في الحرم ، أو فعل شيء مما حرّمه الله ، أو ترك شيء مما أوجبه، سواء كان صغيراً أو كبيراً". (١)

٤ – {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)} [فصلت: ٤٠]

تقدم أن الإلحاد في الأصل مطلق الميل والانحراف، ثم خص في العرف بالانحراف عن الحق إلى الباطل ، ولا شك أن الإلحاد في آيات الله ميل عن

=همّ بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو ببلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم." انظر : تفسير الخازن جـ٥، ص : ١٢ ، وجاء في تفسر السراج المنير " {ومن يرد فيه} أي : المسجد الحرام {بإلحاد بظلم} أي : بميل إلى الظلم والإلحاد العدول عن القصد ، وقيل : الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله ، وقيل : هو كل شيء منهيّ عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم ، وقيل : هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الإحرام من قتل صيد أو قطع شجر ، وقال ابن عباس : هو أن تقتل فيه من لا يقتلك ، أو تظلم فيه من لا يظلمك. وقال مجاهد : هو تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات. وقال سعيد بن جبير : احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية أنّ رسول الله ﷺ قال : "إنّ احتكار الطعام في الحرم إلحاد ، وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله بلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان ، أحدهما في الحل والآخر في الحرم ، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال :كنا نحدّث أنّ من الإلحاد فيه أن يقول الرجل : لا والله وبلى والله."انظر : الشربينى ، تفسير السراج المنير ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٤٣١

(١) محمد يوسف الشوبكى ، الإلحاد وسبب انتشاره ، ص ٣٤٥

الحق إلى الباطل ، وميل عن الاستقامة إلى الاعوجاج ،إما بتبديل الكلام ووضعه في غير موضعه ، أو هو الكفر والعناد [(١)]، أو التكذيب بآيات الله ، والشرك والجحود، أوالميل عن الحق في الدليل بالبكاء والتصدية واللغو واللغط،[(٢)] أو بالطعن فيها بأنها كذب ، أو سحر ، أو شعر أو بتحريفها بحملها على المحامل الباطلة. [(٣)] ويلاحظ من أقوال المفسرين محاولة التخصيص للعام ، مع أن اللفظ لا يحتمل تخصيصا ولا توجد قرينة تخص واحدة من التفسيرات ، فاللفظ عام يشمل كل أنواع الميل والانحراف عن الحق

(١) قال ابن كثير : " قال ابن عباس: الإلحاد: وضع الكلام على غير مواضعه.وقال قتادة وغيره: هو الكفر والعناد" انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ، جـ ٧ ، ص : ١٨٣

(٢) جاء في الكشف والبيان عن تفسير القرآن " إِنَّ الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي آيَاتِنَا (أي يميلون عن الحقّ في أدلتنا .قال ابن عباس : هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه ، وقال مجاهد : يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط . قال قتادة : يعني يكذبون في آياتنا . السدي : يعاندون ويشاققون . ابن زيد : يشركون ويكذبون ." الثعلبى : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م ، جـ٨ ، ص : ٢٩٧–٢٩٨ ، وجاء في فتح القدير للشوكانى : { إن الذين يلحدون في آياتنا } أي يميلون عن الحق ، والإلحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لأنه أميل إلى ناحية منه : يقال ألحد في دين الله : أي مال وعدل عنه ، ويقال لحد . وقد تقدم تفسير الإلحاد ، قال مجاهد : معنى يميلون عن الإيمان بالقرآن وقال مجاهد : يميلون عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء وقال قتادة : يكذبون في آياتنا وقال السدي : يعاندون ويشاقون وقال ابن زيد يشركون" الشوكانى ، : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مرجع سابق ، ، جـ ٤ ، ٧٣٨ وانظر أيضا : لباب التأويل في معاني التنزيل ، : مرجع سابق ، ، جـ ٦ ص: ١١٣ ، وانظر : تفسير مجاهد ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص : ٥٧١ وانظر : بحر العلوم ، للسمرقندي ، مرجع سابق ، ، جـ ٣ ، ص : ٣١٧ ، ٣١٨ ، وانظر : البغوى ، معالم التنزيل ، مرجع سابق ، جـ ٧ ص : ١٧٥

(٣) النسفي ، تفسير النسفى ، مرجع سابق ، جـ ٤ ص: ١٣٨ وانظر : الخلوتى ، تفسير روح البيان ، مرجع سابق ، جـ ٨ ص : ٢٢٥

، يدخل فيه الكذب والشرك ، والجحود والإنكار وغيره مما هو ميل عن الحق وجنوح إلى الباطل ، يقول ابن جرير الطبري : " والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلا عن آيات الله، وعدولا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعنادا، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها. ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى[١].

النوع الثاني : الآيات العامة التي ذكرت الإلحاد والملحدين وأهم موضوعاتها

تعرض القرآن للملحدين بكافة أنواعهم ، وتولى الرد عليهم ، وفي هذا المطلب نستقرئ الآيات العامة التى ناقشت فكر الملحدين ، ودعاواهم ، وقضاياهم ، وكيفية الردود عليهم ، فمنهم من أنكر الخالق والبعث والإعادة وقال بالطبع المحيى والدهر المفنى ، و منهم من أقر بالخالق وأثبت حدوث العالم وأنكر البعث والإعادة ، وهكذا.

١ – قوله تعالى : { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ (٣٦) } الطور ٣٥،٣٦ وهو رد على الملحدين منكري الألوهية ،بأنهم من غير رب أكانوا هكذا خلقا ؟ أَخُلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟ فكيف لا يعتبرون أن الله تعالى خلقهم فيوحدونه ويعبدونه ، فهم لم يُخلقوا من العدم ولم يخلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون لهم خالق هو الله تبارك وتعالى ، يقول ابن كثير :" قال الله تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم

(١) الطبرى: ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق ، ، جـ ٢١ ، ص : ٤٧٨

هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا." (١)

٢- { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) } [الجاثية: ٢٤، ٢٥]

هؤلاء أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى ، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية "يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا }أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا { وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ } قال الله تعالى: { وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ } أي: يتوهمون ويتخيلون. (٢)

٣-{ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) } [الإسراء: ٤٩] وقوله تعالى : وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)} [الإسراء: ٩٨]

ينكر الملحدون ، وجود حياة بعد هذه الحياة الدنيا ، ويستبعدون بجهالة تامة ، حدوث البعث ، إذ بعد أن يكون الإنسان عظاما ورفاتا ، كيف يمكن له

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ٤٣٧/٧ ، ابن جرير ،جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق ، جـ٢٢ ، ص ٤٨١ ، السمرقندي ، بحر العلوم ، مرجع سابق ، حـ ٣ ، ٣٣٦ ، البغوي ، معالم التنزيل ، مرجع سابق ، جـ ٧ ، ص ٣٩٢

(٢) ابن كثير ، السابق ، جـ٧ ص : ٢٦٩ ، ابن جرير الطبري: السابق ، جـ ٢٢، ٧٧، السمرقندي ، السابق جـ١ ، ص : ٤٦٤

أن يصير حيا ؟ إن هذا لشئ عجيب ، فقد ألفوا أن يروا الأجساد تفنى ، وتتفرق ، وتبلى ، ولا تسلم عقولهم أمر عودتها أجسادا تتحرك ، وتتنعم في دار النعيم أو تعذب في دار الجحيم ، ويرد عليهم القرآن بقوة في قوله تعالى : {قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)} [الإسراء: ٥٠، ٥١] ، يقول ابن جرير رحمه الله " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين(أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم خلقا جديدا بعد بِلاكم في التراب، ومصيركم رُفاتا، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أوّل مرّة." (١) فالله عزوجل قادر على إعادتهم ولو صاروا حجارة أو حديداً ، أى لوكانوا خلقوا من أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التى في الحياة ، فما بالك بالعظام البالية القابلة للإعادة ، فإن ذلك أمر سهل هين ومعقول ، تسلم به العقول ،فالعقل الذي يسلم بإمكانية وجود جسم فيه حياة قبل إنشائه ، لا يجد ما يمنعه من أن يسلم بعودة الجسد والحياة له بعد فنائه ، يقول الرازي " أما قوله تعالى: قل كونوا حجارة أو حديدا فالمعنى أن القوم استبعدوا أن يردهم إلى حال الحياة بعد أن صاروا عظاما ورفاتا وهي وإن كانت صفة منافية لقبول الحياة بحسب الظاهر لكن قدروا انتهاء هذه الأجسام بعد الموت إلى صفة أخرى أشد منافاة لقبول الحياة من كونها عظاما ورفاتا ، مثل أن تصير حجارة أو حديدا، فإن المنافاة بين الحجرية والحديدية وبين قبول الحياة أشد

---

(١)الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق ، جـ ١٧ ، ص : ٤٦٣ ، وانظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ،جـ ١٧ ص، ٥٦٢ ، وانظر البغوى ، معالم التنزيل جـ ٥، ص : ١٣٢

من المنافاة بين العظمية وبين قبول الحياة، وذلك أن العظم قد كان جزءا من بدن الحي أما الحجارة والحديد فما كانا البتة موصوفين بالحياة، فبتقدير أن تصير أبدان الناس موصوفة بصفة الحجرية والحديدية بعد الموت، فإن الله تعالى يعيد الحياة إليها ويجعلها حيا عاقلا كما كان، والدليل على صحة ذلك أن تلك الأجسام قابلة للحياة والعقل إذ لو لم يكن هذا القبول حاصلا لما حصل العقل والحياة لها في أول الأمر.(١)

٤- {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) } [سبأ: ٧] { أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا } [سبأ: ٨ - ١٠] يستهزئ الكفار بما وعدهم الله على لسان رسوله من البعث واليوم الآخر ، فيتحدثون فيما بينهم بسخرية واستهزاء ، هل ندلكم على رجل " يقصدون النبى صلى الله عليه وسلم " يخبركم بأمر عجيب ، ونبأ غريب ، هو انكم إذا مزقتم كل ممزق ، وفرقتم كل تفريق ، وقطعتم وصرتم بعد موتكم رفاتا وترابا ، تخلقون خلقا جديدا ، وتبعثون من قبوركم أحياء ، وتعودون إلى صورتكم التى كنتم عليها ؟ ولم يكتف ملحدو قريش بذلك ، فزيادة على السخرية والاستهزاء بأمر الميعاد والبعث ، اتهموا النبى ﷺ ، بالكذب والجنون{ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) } [سبأ: ٨] يقول ابن كثير رحمه الله :" هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك: { وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق أي: تفرقت أجسادكم

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ، أو التفسير الكبير ،مرجع سابق جـ ٢٠ ص : ٣٥٢ ، وانظر : تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ، جـ ٣ ، ص : ١٤٨ ، وانظر :ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، جـ٥ ص: ٨٤

في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق: { إنكم } أي: بعد هذا الحال { لفي خلق جديد } أي: تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك؟ وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون؛ ولهذا قالوا: { أفترى على الله كذبا أم به جنة } ؟ قال الله تعالى رادا عليهم: { بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد } أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء ، { في العذاب } أي: في الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله، { والضلال البعيد } من الحق في الدنيا." [(١)] وقد رد الله عليهم في كتابه الحكيم بقوله {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ٤}[(٢)] [القيامة: ٣ – ٤]فقد ظن الكافرون أن العظام بعد تفرقها ، وتحولها إلى تراب ، واختلاط أجزاء الجسد بغيره من الأجزاء الأخرى عن طريق النبات أو الحيوان ، أو تفرقها بفعل الرياح لا يمكن جمعها مرة أخرى ولكن الله أجابهم بتأكيد الجمع ، وأنه قادر على ذلك ، بل قادر على أن يسوى بنانه بعد تفرقه ، كما سوى بنانه حين إنشائه.[(٣)]

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرأن العظيم ، ،مرجع سابق جـ ٦ ، ص: ٤٩٦ ، وانظر أيضا: النسفى ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، مرجع سابق ، جـ٣ ، ص : ٥٣

(٢) نزلت في عدي بن ربيعة، حليف بني زهرة، ختن الأخنس بن شريق الثقفي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اكفني جاري السوء، يعني: عديا والأخنس. وذلك أن عديا بن ربيعة أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد حدثني عن القيامة متى تكون وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك ، أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله عز وجل: "أيحسب الإنسان" يعني الكافر {أن لن نجمع عظامه} بعد التفرق والبلى فنحييه. أنظر : تفسير البغوي ، معالم التنزيل ، مرجع سابق ، جـ٨ ، ص : ٢٨٠

(٣) تفسير الرازي مفاتيح الغيب ، مرجع سابق ، جـ ٣٠ ، ص : ٧٢٢ ، وانظر : البغوي ، معالم التنزيل ، مرجع سابق ، جـ٨ ص : ٢٨٠

٥- {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦)} [الدخان: ٣٥، ٣٦] {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)} [الجاثية: ٢٥، ٢٦]

ينكر الملحدون البعث ، بحجة ، أن آباءهم الماضين ، الذين ذهبوا لم يرجعوا ؛ لذلك يشترطون كما هو واضح في الآية الكريمة ، رؤية بعث آبائهم حتى يؤمنوا بالبعث ، وهي حجة باطلة ، وشبهة فاسدة ، لأن الميعاد والبعث لا يكون في الحياة الدنيا ، وإنما لميقات معلوم عند رب العالمين يوم القيامة ، لذلك رد عليهم القرآن الكريم في قوله تعالى {وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) } [الواقعة: ٤٧ - ٥٠]

٦-{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } [الزمر:٣] يتخذ الملحدون الأصنام أولياء من دون الله ، وسبب عبادتهم لهم وشركهم بالله ، أنهم يعتقدون أنهم يقربوهم إلى الله زلفى ، أي يشفعون لهم ، ويجعلون لهم منزلة عند الله .[١] ولهذا كانوا

(١) يقول ابن كثير : أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به. انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ، جـ ٧ ص: ٨٤ ، ٨٥ ، ويقول ابن جرير : وقوله:(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَوَلَّوْنَهُم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا، " ابن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق ، جـ٢١ ، ص: ٢٥٠

يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: "لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك".(١) وقد نهى الله عباده عن الشرك ورد على المشركين في قوله تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } [النحل:٣٦]{ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } [الأنبياء:٢٥] .وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه تعالى الله عن ذلك. (٢) وشبه الله تعالى المشركين الملحدين الذين اتخذوا من دونه أولياء لا تنفع ولا تضر بالعنكبوت في قوله تعالى {الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)} [العنكبوت: ٤١] يقول ابن جرير الطبري رحمه الله"مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم،(كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ) في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها،(اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها ، كيما يُكِنهَا، فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم." (٣)

النوع الثالث : آيات قصصية تذكر نماذج من جدل الملحدين من خلال القرآن الكريم :

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ٧ ص: ٨٥ ، ، تفسير الثعلبي الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص : ٤٧(٤/ ٤٧) ، الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ٦٧ ، تفسير النسفى ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ٤١ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ،مرجع سابق ، جـ ٧ ، ص : ٨٦

(٣) ابن جرير الطبري ، مرجع سابق ، جامع البيان ،جـ ٢٠ ، ص : ٣٨

١ - قصة النمرود [١]

قد أخبر الله نبيه ﷺ بخبر النمرود فقال تَعَالَى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)} [البقرة: ٢٥٨] والنمرودَ هُوَ أول من تجبر فِي الأَرْض وَادّعى الربوبية. وطلب المحاجة و المجادلة،[٢] وفي قصص هذه المحاجة روايتان: إحداهما أنهم خرجوا إلى عيد لهم فدخله إبراهيم على أصنامهم فكسرها، فلما رجعوا قال لهم: أتعبدون ما تنحتون؟ فقالوا: فمن تعبد؟ قال: أعبد ربي الذي يحيي ويميت. وقال بعضهم: إن نمروذ كان يحتكر الطعام فكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام يشترونه منه، فإذا دخلوا عليه سجدوا له، فدخل إبراهيم فلم يسجد له، فقال: مالك لا تسجد لي! قال: أنا لا أسجد إلا لربي. فقال له نمروذ: من ربك!؟ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. [٣] وكأنه طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: { ربي الذي يحيي ويميت } أي: الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها. وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها ، فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له. فعند ذلك قال :{ أنا أحيي وأميت }فأراد أن يدعي

---

(١) هو ملك بابل: نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول قول مجاهد وغيره . انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ص: ٦٨٦ ، والسمعانى تفسير القرآن ، جـ ١ ص ، ٣٦١ .

(٢) السمعاني ، تفسير القرآن ، مرح سابق ، جـ ١ ، ص : ٢٦١

(٣)(٣) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن** تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، حـ ٣ ، ص : ٢٨٥

لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة ، ويوهم أنه الفاعل لذلك ، وأنه هو الذي يحيي ويميت، ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: { فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب } أي: إذا كنت كما تدعي من أنك أنت الذي تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلها كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب. فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أخرس فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة (١).

وما حمل نمرود على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره ، وطول مدته في الملك(٢) ،وكان إهلاكه لما قصد المحاربة مع الله تعالى بأن فتح الله تعالى عليه بابا من البعوض فستروا عين الشمس ، وأكلوا عسكره ، ولم يتركوا إلا العظام، ودخلت واحدة منها في دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك، فبقي في البلاء أربعين يوما. (٣)

٢ – قصة فرعون .

ويعد فرعون أشهر الملاحدة الذين ذكروا في القرآن الكريم ، فقد ذكرت قصته في أكثر من موضع في سور متعددة من القرآن الكريم ، لعل أهمها سور طه ، والأعراف ، والشعراء ، القصص، ولم يكتف فرعون بالكفر بالله ، أو إنكار وجوده بل ادعى الألوهية والربوبية صراحة ، {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص : ٦٨٦ ، الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن مرجع سابق ، جـ ٥ ص : ٤٣٢

(٢) يقال : إنه مكث أربعمائة سنة في ملكه ، ولهذا قال الله تعالى { أن آتاه الله الملك }. انظر : ابن كثير جـ١ ، ص : ٦٨٦

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن مرجع سابق ، حـ ٣ ، ص : ٢٨٤

مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } [القصص: ٣٨] {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)} [النازعات: ٢٤]

وقد بلغ فرعون من الكفر والطغيان وضعف الحجة والبرهان أن تحدى موسى وتوعده عندما دعاه لعبادة الله الواحد الأحد فقال مستنكرا : { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } فأجابه موسى :{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) } [الشعراء: ٢٤ – ٢٨] فقال متوعدا موسى :{ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) }[الشعراء: ٢٩] فما كان من موسى إلا أن استخدم معه الحجة البينة ، والطريق اللين{ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) } [الشعراء: ٢٣ – ٣٩]

وقد بلغ فرعون من الجهل والكبر بعدم الاعتراف بالله تعالى إلى أن ظن أنه يمكنه أن يطَّلع إلى إله موسى فأمر ببناء صرح عظيم {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر: ٣٦ – ٣٨] يقول ابن كثير :"يقول تعالى مخبرا عن فرعون، وعتوه، وتمرده، وافترائه في تكذيبه موسى، عليه السلام، أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا، وهو: القصر العالي المنيف الشاهق. وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي، كما قال: { فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا } [القصص: ٣٨]، وقوله: { لعلي أبلغ الأسباب

أسباب السموات } قال سعيد بن جبير، وأبو صالح: أبواب السموات. وقيل: طرق السموات { فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا } ، وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله، عز وجل، أرسله إليه، قال الله تعالى: { وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل } أي: بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئا يتوصل به إلى تكذيب موسى، عليه السلام؛ ولهذا قال تعالى: { وما كيد فرعون إلا في تباب } قال ابن عباس [رضي الله عنهما] (١) ، ومجاهد: يعني إلا في خسار ." [١]

٣ – قصة صاحب الجنتين

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) }[الكهف:٣٢-٣٨]

المقصود من هذا المثل أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيا والغني فقيرا، أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين، وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية .[٢]

---

(١) ابن كثير ، ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ٧ ، ص : ١٤٤

(٢) الرازي ، مفاتيح الغيب ، مرجع سابق ، جـ٢١ ، ص: ٤٦٢

أما الشاهد من القصة أن الكافر ، اغتر بكثرة المال وعزة النفر ، فكفر وتمرد وتجبر وأنكر المعاد فقال{ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً } فظن أن جنته لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ، وذلك لقلة عقله ، وضعف يقينه بالله ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ، ومن شدة كفره وتكبره ، وعناده ، قال لو أن هناك معادا ورجعة ومردا إلى الله ، لأكونن الأحسن حالا ، وليكونن لي عند ربي الحسنى { وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) } وعلى النقيض من ذلك { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}أي: أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية ولا أشرك بربي أحدا }فهو الله المعبود وحده لا شريك له .(١)

المطلب الثاني : أسباب الإلحاد وأنواعه وأقسام الملحدين وأهم قضاياه وآثاره من خلال الآيات القرآنية :

أولا : أسباب الإلحاد :

١ - الجهل بصفات الألوهية :

فالجهل من أسباب الإلحاد؛ وهو جهل الإنسان بخالقه، والدليل على ذلك أن قوما طلبوا من نبيهم (موسى عليه السلام) أن يجعل لهم إلهًا من الحجر؛ وذلك لجهلهم {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) } [الأعراف: ١٣٨]

٢ - استبعاد الوحي والاعتماد على العقل كمصدر أوحد للمعرفة :

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ،جـ٥ ، ص : ١٥٧

ومن أسباب الإلحاد؛ الاعتماد على العقل في الأمور التي لا يستطيع إدراكها، ولا الوصول إليها، ومحاولة تصوّر تلك الأمور ، ومن ثم تظهر الأفكار الإلحادية ، لأن للعقل مجالا وللوحي مجالا . وأن ما يتوصل إليه العقل في مجال الغيبيات ليس إلا مجرد فرضيات وتخمينات وظنيات لا ترتفع إلى مستوى اليقينيات، إلا إذا جاء بها الوحي فعندها تكون يقينيات مسلمة لا يتطرق إليها الشك. لذلك قال ابن تيمية . رحمه الله . " الأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول، ولا بمحالات العقول.[١]

٣ – : اتباع الشهوات والأهواء والهروب من المسؤولية.

إن تنكر التفكير الإلحادي (القديم والمعاصر) للبعث ليس لضعف على المستوى الحجاجي المنطقي للقرآن الكريم فقد كان جواب القرآن واضحا محرجا {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩ } [يس: ٧٩] وإنماهو هروب من المضمون الأخلاقي لفكرة البعث ، فجوهر فكرة البعث ومبررها والغرض منها هو " الحساب" فالآخرة هي يوم الدين ، يوم الحساب ، اليوم الذي يطبق فيه مبدأ المسؤولية الفردية على الجميع { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ }(٨) ،وهذا في الحقيقة ماكان يهرب منه الملأ من قريش قديما ، وما يهرب منه الملحدون حديثا ، الهروب من المسؤولية الأخلاقية ، والاستمتاع بملاذ الدنيا من شرب للخمر ولعب بالقمار ، وارتكاب الفواحش، الخ حيث إن فكرة " البعث " تعنى الحساب الفردي على كل سلوك أخلاقي يأتيه الفرد في حياته، ولهذا السبب كان موقف الملحدين من البعث : الرفض الجامد المطلق [٢] ، يقول ابن

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص :٣١٢

(٢) د . محمد عابد الجابري. فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول ، القسم الأول ، مركز دراسات الوحدة العربية ط ٣ بيروت ٢٠١٠ص: ١٩٢

جرير رحمه الله ": يقول تعالى ذكره:" وقالوا إنْ هي إلا حياتنا الدنيا" ، يخبر عنهم أنهم ينكرون أنّ الله يُحيي خلقه بعد أن يُميتهم، ويقولون:"لا حياة بعد الممات، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء". فهم بجحودهم ذلك، وإنكارهم ثوابَ الله وعقابَه في الدار الآخرة، لا يبالون ما أتوا وما ارتكبوا من إثم ومعصية، لأنهم لا يرجون ثوابًا على إيمان بالله وتصديق برسوله وعملٍ صالح بعد موت، ولا يخافون عقابًا على كفرهم بالله ورسوله وسيّئٍ من عمل يعملونه. " (١)

٤- اتخاذ الوسائط، واعتقاد أنهم شفعاء يوصّلون من دعاهم إلى الله.

من أسباب الإلحاد اعتقاد بعض الملحدين أن الله يحتاج إلى واسطة ؛ لذلك بيَّن الله تعالى سبب إلحاد عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا(٢) يقول ابن جرير : وقوله: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَوَلَّوْنَهُم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا، " (٣)

---

(١) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق جـ ١١ ، ص : ٣٢٣

(٢)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ٧ ص: ٨٤ ، ٨٥

(٣) ابن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق ، جـ٢١ ، ص: ٢٥٠

ثانيا : أنواع الإلحاد

١ - إلحاد إنكار

بأَن لا يعرفَ اللهَ أَصلاً ولا يعترف به ، لا بقلبه ولا بلسانه ، وهم الماديون المنكرون بوجود الله وقد نافشهم القرآن الكريم وذكرهم في قوله تعالى { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) } [الجاثية: ٢٤، ٢٥]

٢ - إلحاد معاندة وكبر

إلحاد المُعانَدَة فهو أن يعرفَ اللهَ بقلبه ويقرّ بلسانه ولا يدين به حَسداً وبَغياً ، ككُفر أبي جَهلٍ أنزل فيه قرآنا :{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩) } [العلق: ٩ - ١٨] ، يقول ابن كثير " قال تعالى: { أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى } نزلت في أبي جهل، لعنه الله، توعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال: { أرأيت إن كان على الهدى } أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيمة في فعله، أو { أمر بالتقوى } بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته؛ ولهذا قال: { ألم يعلم بأن الله يرى } أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء.ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا: { كلا لئن لم ينته } أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد { لنسفعن بالناصية } أي: لنسمنها سوادا يوم القيامة.ثم قال: { ناصية كاذبة خاطئة } يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها. { فليدع ناديه } أي: قومه وعشيرته، أي:

ليدعهم يستنصر بهم، { سندع الزبانية } وهم ملائكة العذاب، حتى يعلم من يغلب: أحزبنا أو حزبه." (١)

٣- إلحاد جحود

، وأما إلحاد الجُحود فأَن يعترفَ بقلبه ولا يُقِرّ بلسانه ، فهذا ملحد جاحدٌ ككُفْرِ إبليسَ وكُفْرِ أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلت

٤- إلحاد شرك

وهو إشراك غير الله في العبادة ،كاتخاذ المشركين والكفار أصناما تعبد من دون الله

ثالثا : أقسام الملحدين

١ - الدهريون :

وهم المقصودون في قوله تعالى { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } [الجاثية: ٢٤]

وهم ينكرون الخالق ، والبعث والحساب ، ويسمون في عصرنا بالماديين وهم يعتقدون بأزلية المادة فالسمة الأساسية للمادية هي تفسير العالم انطلاقا من ذاته ، أي أن المادة قديمة أزلية لا موجد لها . ويسمون أيضا بالطبعيين لأنهم يقولون بالطبيعة الفاعلة ، فقالوا ماهي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر. (٢)

٢ - المجوس :

وهم الثنوية الذين أثبتوا للعالم أصلين اثنين مدبرين يقتسمان الخير والشر ، يسمون أحدهما بالنور ، والآخر بالظلمة ، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ٨ ، ص ٤٣٨

(٢) د. شوقي إبراهيم علي عبدالله ، الاسلام في مواجهة شبهات الماديين ، مرجع سابق ، ص: ١٨

{الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)} [الحج: ١٧]

٣ – المشركين

وهم طوائف ، منهم من اتخذ من دون الله أولياء ، ومنهم عبدة الملائكة والجن ، ومنهم من أنكر الرسل والرسالات ، والبعث وقد تقدم ذكرهم .

رابعاً: أثار الإلحاد على الفرد والمجتمع من خلال آيات القرآن :

إن المصائب العامة التي تنزل بالعباد هي حصائد ذنوبهم، فالله – تعالى – لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون، ، كما قال تعالى: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[سورة الروم ٤١]، ويتفرع من ذلك آثار ملموسة على مستوى الفرد والمجتمع ' وقد أشار القرآن صراحة إلى هذه الآثار تفصيلياً وسيشير البحث إلى من أهمها مايلي :

١- النفور والتنافر الاجتماعي :

ويبدأ هذا الأثر من خلال أثر نفسي يحوط بالملحد ويسيطر عليه وهو القلق النفسي والاضطراب الذهني وهذا جزاء من بعد عن الله فكيف بمن أنكره وألحد ومال عن الحق يقول الله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً) [طه: ١٢٤] قال ابن عاشور : "إذ رتب على الإعراض عن هدي الله اختلال حاله في الدنيا والآخرة، فالمعيشة مراد بها مدة المعيشة، أي مدة الحياة " (١) وبهذا يختل حاله ويضطرب في الدنيا بالإضافة إلى ما يلاقيه من طرد ونفور اجتماعي وهذا عام في أصحاب المعاصي عامة فلو تأملنا في مشروعية تنفيذ الحدود نجد من مقاصدها ما يشعر به العاصي من النفور الاجتماعي ومن ذلك : لما أمر الله بإقامة حد الزنا قال تعالى :

(١) انظر : التحرير و التنوير ١٦/١٩٩ .

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[النور:٢] فأراد الله إلحاق الأذى والذل بهؤلاء، وعدم الشفقة عليهم ، وأن يقام الحد بحضرة مجمعٍ من الناس ليكون أبلغ في الزجر والإهانة، ويحدث النفور الاجتماعي، والبغض في قلوب الخلق، وكذلك تغريب الزاني عاماً، فتحصل الوحشة في قلبه. (١) وتسري عليه أحكام رد الشهادة حيث يقول الله تعالى : "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "[النور:٤] فينفر منه المجتمع لأن ما يدعيه ما نزل الله به من سلطان

٢- ضياع الأخلاق من الفرد والأسرة والمجتمع وانتشار الفاحشة : يقول الله تعالى : { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } (سورة النساء ٢٧) ، قال مجاهد : " يزني أهل الإسلام كما يزنون قال: هي كهيئة: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [سورة القلم: ٩] " (٢) ،

ويترتب على هذا الأثر ضياع وتفكك مفهوم الأسرة ونظامها مع هدم الاستقرار المجتمعي وانتشار الأثار المجتمعية المدمرة من اختلاط أنساب و انتشار أطفال الزنا ذلك الجيل الناشئ عن الانحرافات العقدية والخروج عن منهج الله تعالى لذلك يصبح هذا الجيل معول هدم في المجتمع وعنصر تفكيك له ونحن نرى في هذا العصر دعاة الإباحية ممن لايؤمنون بدين ولا بإله فيرفضون الإذعان لطاعة الله في أوامره ونواهيه ولا يتبعون إلا أهوائهم وشهواتهم ونزواتهم تحت دعوى الحريات والتحرر وهدمهم لنظام الزواج الذي

---

(١) انظر :في ذلك تفسير فتح القدسر في تفسير قوله تعالى :.´ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ "و أيضاً في قوله " وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " ٤/ ٧

(٢) انظر جامع البيان لابن جرير ٨ / ٢١٢ .

قال الله تعالى فيه (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الروم ٢١) ، وأي فقدان للأمن الاجتماعي أكبر من هذا ؟ وأي تفكك لنواة المجتمع أسوأ من هذه الأثار التي غرسها الإلحاد وغرستها الأفكار المنحرفة ؟.

١- تفرق الأمة وعدم توحد جهودها مما يؤدي إلى فقدان الأمن السياسي والاجتماعي مع سقوط الدول وتفكك البلاد : وفي هذا يقول الله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } (سورة الأنعام ١٥٣) ، فالظاهر من كلام الله تعالى أن كل من خرج عن سبيل الله بدعوة شركية منكرة أو فرقة مذمومة وبدعة لم يامر لاالله بها بها فهو مسبب للاختلاف الذي نهى الله عنه قال ابن كثير – رحمه الله : " قالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عباس في قوله وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ وفي قوله أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [الشُّورَى: ١٣] وَنَحْوُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ «٢» وَنَحْوِ هَذَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ." (١) ، ومع هذا التفرق الفكري والانحرافات المختلفة والمتعددة تصبح المجتمعات فريسة سهلة تسقط تحت سيطرة أعدائها وهو أثر ملحوظ في هذا العصر .[٢]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٢٨ ط دار الكتب العلمية

(٢) اعتمد البحث في جمع هذه الآثار إجمالاً على مصادر أصيلة حاولت جمع هذه الأثار على الفرد منها : الانحراف العقدي أثاره ونتائحه – د/ أحمد بن على سير المباركي – مطبوعات لارابطة العالم الإسلامي – المجمع الفقهي الإسلامي – مكة ، عبدالرحمن عبد الخالق ، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ

كما يؤدي ما سبق إلى الإجرام السياسي وذلك أن الأخلاق المادية جعلت قلب الإنسان يمتلئ بالقسوة والأنانية في مجال السياسات العالمية؛ ولذلك ترى الدول الكبرى تلجأ إلى وسائل خسيسة جداً في استعباد الشعوب الضعيفة والحصول على خيراتها". (١) .

بالإضافة إلى انتشار الجرائم حيث إن من آثار الإلحاد انتشار الجرائم سواء جرائم فردية أو جماعية ؛ لأن قوى الشرّ إذا تمكنت من قطع صلة الإنسان بربه وأقْنعتْه بأن هذا الربّ غير موجود؛ فإنها تجرده من كل إحساس إنساني، ولم تبق له أيّ وازع ديني يحول بينه وبين ارتكاب أية جريمة مهما كان نوعها ، إذ الإنسان بفقد إيمانه بالله وباليوم الآخر يصبح يعمل لدنياه فقط. (٢)

خامسا : اهم قضايا الإلحاد :

وأهم قضايا الإلحاد التى عالجها القرآن الكريم

١ – قضية إنكار الخالق عزوجل ، كما ظهرت في قصة فرعون موسى ، والنمرود ، وصاحب الجنتين، وكما ظهرت في فضية مناقشة الدهريين .

٢– قضية إنكار البعث : وقد عالجها القرآن ورد على منكريها في أكثر من موضع كما تقدم .

٣– قضية تكذيب الرسل والرسالات ،: وقد عالجها القرآن الكريم في آيات كثيرة منها:

{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)} [البقرة: ٨٧] {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا

(١)ا عبدالرحمن عبد الخالق ، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٨–٣١

(٢)محمد يوسف محمد الشوبكي ،الإلحاد وسبب انتشاره ، مرجع سابق ، ص :٣٨٥

حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) } [الأنعام: ٣٤، ٣٥] {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦)} [المؤمنون: ٢٥، ٢٦] {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) } [الشعراء: ١٠٥، ١٠٦] {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)} [الشعراء: ١٢٣] {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١)} [الشعراء: ١٤١] {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٦٠]

المطلب الثالث : أساليب القرآن الكريم في مخاطبة الملحدين . :

القرآن الكريم تناول كثيرًا من الأدلة والبراهين التي حاج بها خصومه في صورة واضحة جلية يفهمها العامة والخاصة، وأبطل كل شبهة فاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع في أسلوب واضح النتائج، سليم التركيب، لا يحتاج إلى إعمال عقل أو كثير بحث[(١)]. كما استخدم أساليب الذم والتوبيخ والتهديد حسب الحال والمقام ، ويمكن تصنيف أساليب القرآن الكريم في مخاطبة الملحدين إلى قسمين : الأول استخدام الأدلة والبراهين العقلية ، والثانى : أساليب الزجر والتهديد.

أولا : استخدام الأدلة والبراهين العقلية [(٢)] :

وذلك من خلال ما يلي :

١ – الاستدلال على الألوهية بدليل التمانع ؛ ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار إليه في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا} لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا

(١)القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص : ٣١٠

(٢) الزركشى ، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، جـ ٢، ص : ٢٥

يجري تدبيرهما على نظام ، ولا يتسق على إحكام ، ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما ؛ وذلك لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته فإما أن تنفذ إرادتهما فتتناقض لاستحالة تجزؤ الفعل إن فرض الاتفاق ، أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف ، وإما لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما ، أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لا يكون عاجزا .

٢ - الاستدلال على المعاد الجسماني باستخدام القياس والأدلة العقلية (١)

١ - : قياس الإعادة على الابتداء قال تعالى: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ}.

٢- : قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى نحو: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}.

٣- : قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات وهو في كل موضع ذكر فيه إنزال المطر غالبا نحو: {وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}.

٤- قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر وقد ورد أن أُبيّ بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتها وذرّها في الهواء وقال: يا محمد من يحي العظام وهي رميم! فأنزل الله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}.فعلم سبحانه كيفية الاستدلال برد النشأة

(١) الزركشي :السابق ، جـ ٢، ص : ٢٦

الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث ثم زاد في الحجاج بقوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً}.

وهذا في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما .

٥- في قوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ} .

يقول الزركشي :" وتقريرها كما قاله ابن السيد(١) : إن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه ، وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه ، والحق في نفسه واحد ،فلما ثبت أن هاهنا حقيقة موجودة لا محالة ، وكان لا سبيل لنا في حياتنا هذه إلى الوقوف عليها وقوفا يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف ؛ إذ كان الاختلاف مركوزا في فطرنا ، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها إلى جبلة غيرها ، صح ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد ، وهذه هي الحال التي وعد الله بالمصير إليها فقال: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} ، ولابد من كون ذلك باضطرار ؛ إذ كان جواز الخلاف يقتضي الائتلاف ؛ لأنه نوع من المضاف وكان لابد من حقيقته فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون .(٢)

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي صاحب كتاب أدب الكاتب وغيره من كتب الأدب واللغة ، توفي سنة ٥٢١ هـ ، إنباء الرواة جـ ٢ ، ص : ١٤١

(٢) الزركشى السابق ، جـ ٢، ص : ٢٧

٣- إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها [١]

كقوله تعالى: {قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} ردًّا على اليهود فيما حكاه الله عنهم بقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}

٤- مطالبة المخالف بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدّعاه :

كقوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ، فنفى التولد عنه لامتناع التولد من شيء واحد، وأن التولد إنما يكون من اثنين، وهو سبحانه لا صاحبة له، وأيضًا فإنه خلق كل شيء، وخلقه لكل شيء يناقض أن يتولد عنه شيء، وهو بكل شيء عليم، وعلمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلًا بإرادته، فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالِمًا أن يكون كالأمور الطبيعية التي يتولد عنها الأشياء بلا شعور – كالحار والبارد– فلا يجوز إضافة الولد إليه[٢].

٥- أسلوب التسليم :

وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ، لكون المذكور ممتنع الوقوع ، لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا ، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه ، كقوله تعالى {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ

(١) القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص : ٣١٤

(٢) القطان ، السابق ص : ٣١٤

مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ } [المؤمنون: ٩١] والمعنى ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك ففرض إلهين فصاعدا محال لما يلزم منه المحال .(١)

٦- أسلوب الانتقال :

هو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول كما جاء في مناظرة الخليل الجبار لما قال له {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} [البقرة: ٢٥٨] فقال الجبار { أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } [البقرة: ٢٥٨]دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ، ومن لا يجب عليه فقتله ؛ فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد الجبار له وجها يتخلص به منه فقال {إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} [البقرة: ٢٥٨]فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق لأن من هو أسن منه يكذبه . (٢)

٧–أسلوب مجاراة الخصم فيسلم ببعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه :

كقوله تعالى { قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) } [إبراهيم: ١٠] فقولهم إن نحن إلا بشر

---

(١) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق محمد أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤ م جـ٢ ص :٣٥٩

(٢) السيوطي: السابق ، جـ٢ ص :٣٦٠

مثلكم فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم ، وليس مرادا بل هو من مجاراة الخصم ليعثر ؛ فكأنهم قالوا : ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره ، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة .(١)

ثانيا: أساليب الزجر والتهديد : وذلك من خلال ما يلي :

١ - : أسلوب الذم والإعراض

نحو: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ}

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين ، وكثر الخطاب بـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} على المواجهة وفي جانب الكفار على الغيبة إعراضا عنهم كقوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ} ثم قال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ} فواجه بالخطاب المؤمنين ، وأعرض بالخطاب عن الكافرين ؛ ولهذا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا عتب على قوم قال: "ما بال رجال يفعلون كذا" فكنى عنه تكرُّما ، وعبر عنهم بلفظ الغيبة إعراضا .(٢)

٢- أسلوب التهكم :

وهو الاستهزاء بالمخاطب كقوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} وهو خطاب لأبي جهل لأنه قال: "ما بين جبليها -يعني مكة- أعز ولا أكرم مني" ، وقال: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} جعل العذاب مبشرا به ، وقوله: {هَذَا

---

(١) السابق ، جـ٢ ص :٣٦١

(٢) الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، جـ ٢، ص : ٢٣١

نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ}، وقوله: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} ، ، وقوله تعالى: {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ} وذلك لأن الظل ، من شأنه الاسترواح واللطافة فنفي هنا وذلك أنهم لا يستأهلون الظل الكريم . [١]

٣ – أسلوب التعجيز :

نحو: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ} وقوله تعالى {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ} ، وقوله تعالى :{قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ} وقوله تعالى : {فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ} ؛ قال ابن عاشور في تقرير تعجيز الله لهم : " وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُجِيبَهُمْ عَنْ دَعْوَى الِافْتِرَاءِ بِتَعْجِيزِهِمْ، وَأَنْ يَقْطَعَ الِاسْتِدْلَالَ عَلَيْهِمْ، فَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ. وَالْأَمْرُ أَمْرُ تَعْجِيزٍ، وَقَدْ وَقَعَ التَّحَدِّي بِإِتْيَانِهِمْ بِسُورَة تماثل سُورَة الْقُرْآنِ، أَيْ تُشَابِهُهُ فِي الْبَلَاغَةِ وَحُسْنِ النَّظْمِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ هَذِهِ الْمُمَاثَلَةِ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [٢٣] " [٢] ، وهذا منهج قرآني مع المخالفين عامة والملحدين خاصة .

٤ أسلوب التحسير والتلهف

كقوله تعالى: {قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} ؛ وفي هذا يقول الشوكاني :" { وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ } تأسفا وتحسراً حيث عجزوا عن الانتقام منكم والعرب تصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان ثم أمره الله سبحانه

(١) **السابق** ، **جـ ٢، ص** : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، **السيوطي** ، الإتقان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، جـ ٢ص: ٣٥٧، ٣٥٨

(٢) التحرير والتنوير – جـ ١١ صـ ١٧٠

بأن يدعو عليهم فقال { قل موتوا بغيظكم } وهو يتضمن استمرار غيظهم ما داموا في الحياة حتى يأتيهم الموت وهم عليه " (١)

٥ – أسلوب التكذيب :

نحو قوله: {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ} قال الألوسي في بيان غرض هذه الآية وتوضيح أسلوب تكذيبهم " وفي ذلك دليل ظاهر على صحة نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم إذ علم بأن ما في التوراة يدل على كذبهم وهو لم يقرأها ولا غيرها من زبر الأولين ومثله لا يكون إلا عن وحي " (٢)

(١) فتح القدير ج١ صـ ٥٦٧

(٢) روح المعاني جـ ٢ صـ ٢٢٠

المبحث الثاني:

أدلة القرآن الكريم في معارضة الفكر الإلحادي.

المطلب الأول: دليل الفطرة.

لا شك أن الإقرار بوجود الله حقيقة بدهية لا تحتاج إلى جدال أو نقاش إذ هو أمر ضروري مغروس في النفوس فطريا – في حق من سلمت فطرته– ؛ لذلك نجد القرآن الكريم يخاطب المخالفين بما استقر في فطرتهم ، قبل أن تطمسه أهواؤهم لعلهم يتذكرون أو يعودون ، فيتوبون ويرجعون إلى فاطر السموات والأرض ، فالفطرة تدل على التوحيد ، وترفض الإلحاد والكفر والشرك ، وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الله سبحانه وتعالى أمر مركوز في الطبيعة البشرية ، مغروس في النفوس بالفطرة ، فقد فطر الله سبحانه ، النفوس على توحيده ، وأخذ عليهم الميثاق وهم في الأصلاب ، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(١) . فهذا إخبار منه سبحانه في استخراج ذرية بني آدم من ظهور آبائهم وأصلابهم وأنه أخذ عليهم الإقرار والشهادة بأنه ربهم غير غافلين، ولا مقلدين لمن أشرك من آبائهم وأنهم أقروا بذلك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة".وفي رواية "ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة، حتى يعبر عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ،كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم

(١) سورة الأعراف : ١٧٢-١٧٤

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: {فِطْرَتَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}[١] وفي رواية لمسلم "كل إنسان تلده أمه على الفطرة وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم، كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه إلا مريم وابنها"(٢) .و قال شيخ الإسلام: ((إن الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة)). [٣]

و من أوضح الأدلة على فطرية المعرفة بالله عز وجل والإيمان بوجوده ذلك الدافع القوي الذي يُلجئ الإنسان عند المصائب والمخاطر إلى نداء الله تعالى ، والاستغاثة به كائناً من كان ذلك الإنسان مؤمناً أو غير مؤمن ؛ ففي الشدة تبدو فطرة الناس جميعاً كما هي في أصلها الذي خلقها الله عليه ، وعندما تمر المحنة وتأتي العافية والنعمة يعودون إلى مخالفة فطرتهم من جديد. ويندر أن لا يذكر إنسان أمثلة من حياته عاش فيها هذا المعنى قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلْضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى ٱلْبَرّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ .

وقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التى ترد على الملحدين استنادا إلى دليل الفطرة نذكر منها ما يلى :

---

(١)رواه البخاري في الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات ٤١٧/١ وباب ما قيل في أولاد المشركين ٤٢٤/١ وفي التفسير باب لا تبديل لخلق الله٢٧٥/٣ وفي كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين ٢٠٩/٤ ورواه مسلم في كتاب القدر باب معني كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٤٧/٤ رقم ٢٢، ٢٥،٢٤،٢٣.

(٢) رواه مسلم في القدر ٢٠٤٨/٤رقم ٢٥.

(٣). ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ، جـ ١٦ ، ص ك ٣٢٨

١- {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) } [إبراهيم: ١٠] قال ابن كثير " قالت الرسل: { أَفِي اللَّهِ شَكٌّ }وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، و الاعتراف به ضروري في الفطَر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه { فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ } الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.والمعنى الثاني في قولهم: { أَفِي اللَّهِ شَكٌّ } أي: أفي ألوهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو، وحده لا شريك له؛ فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى. (١)

٢- {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) } [الروم: ٣٠، ٣١] والمعنى كما يقول ابن كثير : سدِّد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، التي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على [معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: { وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى } [الأعراف: ١٧٢]، (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢)

(٢)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص : ٣١٣

ويقول الرازي : " قال الله تعالى: فطرت الله ؛ أي الزم فطرة الله وهي التوحيد، فإن الله فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم ألست بربكم [الأعراف: ١٧٢] فقالوا: بلى . وقوله تعالى: لا تبديل لخلق الله فيه وجوه؛ قال بعض المفسرين هذه تسلية للنبي ﷺ عن الحزن حيث لم يؤمن قومه فقال :هم خلقوا للشقاوة ، ومن كتب شقيا لا يسعد، وقيل: لا تبديل لخلق الله أي الوحدانية مترسخة فيهم لا تغير لها حتى إن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون الله، لكن الإيمان الفطري غير كاف. ويحتمل أن يقال خلق الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيده ، لا تبديل لخلق الله أي ليس كونهم عبيدا مثل كون المملوك عبدا لإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق ، بل لا خروج للخلق عن العبادة والعبودية، وهذا لبيان فساد قول من يقول العبادة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف. وقول المشركين: إن الناقص لا يصلح لعبادة الله، وإنما الإنسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله، وقول النصارى :إن عيسى كان يحل الله فيه وصار إلها فقال: لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك.ثم قال تعالى: ذلك الدين القيم الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك هو الدين المستقيم. (١)

٣- {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)} [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه(٢)،

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب ، مرجع سابق ، جـ ٢٥ ، ص: ٩٨ ، ٩٩

(٢)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق جـ ٣ ، ص : ٥٠٠

قال تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } [الروم:٣٠]

المطلب الثاني: دليل العقل.

استخدم القرآن الأدلة العقلية والبراهين والحجج القوية في مجادلة خصومه ومخالفيه ، وقد تضمن القرآن ردودا كثيرة على المشركين والملحدين وأصحاب الأديان الأخرى ممن خالفوا عقيدة الإسلام من إنكار للألوهية أو الشرك أو إنكار البعث ، كما تضمن ردودا كثيرة على اليهود والنصارى ؛ فقد رد على اليهود دعواهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أولياء الله من دون الناس ، كما رد دعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ثم دعوى النصارى تأليه عيسى عليه السلام وأمه ، كما حاج قوم إبراهيم عليه السلام بأدلة عقلية قاطعة على صدق دعواه .

الرد على منكري الألوهية

ينكر الملحدون أن هناك خالقاً قد خلقهم، والله تعالى يرد عليهم بقوله تعالى في اَية جامعة معجزة:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ) (الطور/٣٥-٣٦)أي: أنهم لم يُخلقوا من العدم ولم يخلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون لهم خالق هو الله تبارك وتعالى، يقول ابن كثير :" قال الله تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا." (١) وهذه الآية الكريمة من أقوى الأدلة العقلية في الرد على الملحدين فقد صاغ الله سبحانه وتعالى هذه الحجة في الأسئلة الإنكارية : هل خُلقوا من غير شيء

(١) السابق ، ٤٣٧/٧

فوجدوا بلا خالق ؟ وذلك في الفساد ظاهر ، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الأمر فلا بد له من خالق ، فإذا أنكروا الإله الخالق ، ولم يجز أن يوجدوا بغير خالق أفهم الخالقون لأنفسهم ؟ وذلك في الفساد أظهر ، لأن ما لا وجود له كيف يخلق ؟ و كيف يجوز أن يكون موصوفاً بالقدرة ؟ وإذا بطل الوجهان معاً قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به .و قد ذكر الله الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليتبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس ، لا يمكن إنكارها ، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون محدث أحدثه ، و لا يمكنه أن يقول : هو أحدث نفسه ، و إن وجود هذه الموجودات بعد العدم، وحدوثها بعد أن لم تكن، يدل بداهة على وجود من أوجدها وأحدثها ، وليس شرطاً أن يقف كل أحد على حدوث كل شيء حتى يصدق بذلك ، و الإنسان إذا رأى حدثا أدرك بداهة أن له محدِثا و إذا رأى فعلا أدرك بداهة أن له فاعلا [١].

وتتداخل الأدلة العقلية مع الأدلة الحسية في الرد على المشركين كما في قوله تعالى : {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}

(١) أنظر : جامع الأدلة على وجود الله مع نقد شبهات الملاحدة حولها سلسلة متجددة ، ربيع أحمد السلفيى مقال على موقع ألالوكة المجلس العلمى ، رابط الموقع http://majles.alukah.net/t78401/

٢. ٢ سورة النمل الآية: ٦٠-٦٤. فهذه الآيات الكريمة واجهت المشركين بأسئلة مستمدة من واقع الكون الذي حولهم، والذي يشاهدونه ويلمسونه، ويتمتعون بفوائده وخيراته. إنَّ استخدام الحواس في النظر، والتدبر فيما يشاهد من خلق السموات والأرض وما فيهما من إبداع وتنسيق، لا يمكن أنْ يكون صدفةً، أو رميةً من غير رام.و الأرض التي جعلت مستقراً للكائن الحي، إنساناً كان أو حيواناً، والأنهار التي تجري فيها لمصلحة الإنسان والحيوان، والجبال التي انتصبت على ظهرها لتثبيتها واستقرارها، وما جعله الله من حواجز تفصل بين المياه العذبة والمياه المالحة(١) ، فهل يمكن أن يكون مع من فعل ذلك شريك في ملكه ؟ ويأتي البرهان الآخر في الآيات الكريمة عن طريق الاستفهام الإنكاري لاستنهاض الذهن الخامل إلى القيام بالموازنة بين الذي يجيب دعوة المضطر كلما تضرع إليه لإزالة ما ألمَّ به من مكاره، ودفع ما أحاط به من نوازل، والذي يجعل سكان الأرض خلائق يعمرونها جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، وبين هذه المعبودات التي لا تفقه ولا تحس ولا تعي، ولا تدافع عن نفسها، فضلاً عن نفع أو إضرار غيرها.ويأتي برهان آخر أيضاً، وهو أنه من يرشدهم إلى مقاصدهم في أسفارهم في الظلام الدامس، في البراري، والقفار، والبحار، والبلاد التي يتوجهون إليها بالليل والنهار؟ ومن الذي يسوق الرياح مبشرة بنزول المطر الذي هو رحمة للبلاد والعباد؟هل من إله مع الله يقدر على شيء من ذلك؟تعالى الله وتقدس الخالق القادر عن مشاركة المخلوق العاجز(٢).ويسألهم القرآن الكريم عن الذي يرزقهم من السماء بإنزال المطر، فينبت لهم من خيرات الأرض والزروع

---

(١) انظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ٣ ص : ٣٨٦

(٢) الرحيلي . حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط ١ : ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج ١ ص : ٤٣٣ ، ٤٣٤

والثمار فهل من إله غير الله تعالى يفعل شيئاً من ذلك؟ثم قال لهم: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ، أي: أحضروا حجتكم ودليلكم على ما تدّعون وتزعمون إن كنتم صادقين في أنَّ مع الله إلهاً آخر. (١)

وهناك الكثير من الآيات التى تدعو إلى النظر والتفكر والاعتبار والتأمل والتى تهدف إلى أن يتأسس الإيمان على الفهم والاقتناع وإثارة العقل والفكر لنبذ الكفر والشرك والإلحاد ، والإيمان بالله وحده لاشريك له ،ومن هذه الآيات: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} سورة الطارق ، {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا...} [عبس: ٢٤ – ٢٥]{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)} [الذاريات: ٢١]{ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)) } [الغاشية: ١٧ – ٢٠]{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)} [العنكبوت: ٢٠]{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)} [العنكبوت: ٢٠]{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) } [الأعراف: ١٨٥]

ويكثر في القرآن أمثال هذه الآيات ، كما يكثر فيه ما يوجه القرآن النظر إليه من آيات الله في الآفاق والأنفس، وهي الآيات التى جعلها الله لقوم يفقهون أو يتفكرون أو يتدبرون أو يتذكرون أو يعلمون ، وهي كلها أوجه من النشاط العقلي الذي يندفع إليه العقل بمقتضى الإيمان ليعرف

(١)السابق ج ص ٤٣٥

حقائق الوجود ، ويكشف غوامضه ، ويدرك من أسراره ما يهديه إلى الله ، وما يحقق له النفع في دنياه . (١)

وهذا الاستدلال القرآني يسمى في عرف العلماء بدليل الخلق والإيجاد من العدم ، وفيه من الآيات الكريمات ما لا يسع المقام لذكره ، يقول ابن تيمية"فالاستدلال على الخالق بالخلق ، في غاية الحسن والاستقامة ، وهيى طريقة عقلية صحيحة ، وهيى شرعية ، دل القرآن عليها ، وهدى الناس إليها وبينها ، وأرشد إليها .وهي عقلية ، فإن نفس كون الإنسان حادثا ، بعد أن لم يكن ، ومولودا ومخلوقا من نطفة ، ثم من علقة ، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم ، سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر ، لكن الرسول استدل به ، وأمر أن يستدل به ، ودل به وبينه ، واحتج به ، فهو دليل شرعى ؛ لأن الشارع استدل به ، وأمر أن يستدل به ، وهو عقلي ؛ لأن بالعقل تعلم صحته ، وكثير من المتنازعين في المعرفة هل تحصل بالشرع أو بالعقل يسلكونه ، وهو عقلي وشرعي ، وكذلك من الأدلة المذكورة في القرآن مثل الاستدلال بالسحاب والمطر هو مذكور في القرآن في غير موضع ، وهو عقلي وشرعيى ، كما قال تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)} [السجدة: ٢٧] ثم قال { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)} [فصلت: ٥٣] فالآيات التى يريها الناس حتى يعلموا أن القرآن حق هى آيات عقلية ، يستدل بها العقل على أن القرآن حق ، وهي شرعية دل

---

(١) مدكور : د عبد الحميد عبدالمنعم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية (مقدمات ، وقضايا) ، دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٠ ص :٢٦

عليها الشرع وأمر بها ، والقرآن مملوء من ذكر الآيات العقلية التى يستدل بها ، وهي شرعية لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها. [١]

الرد على منكري البعث

وقد واجه القرآن الكريم منكري البعث بالأدلة العقلية في عدة مواضع من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئا..} (٢) يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم، اتباعا منه للشيطان المريد، وتنبيه له على موضع خطأ قيله، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه، قال : يا أيها الناس إن كنتم في شك في قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم عليه السلام من تراب، ثم إنشائنا لكم من نطفة آدم، ثم تصريفنا لكم أحوالاحالا بعد حال، من نطفة إلى علقة ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك، فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم، كما كنتم أحياء قبل الفناء"(٣)

(١) ابن تيمية ، النبوات ، القاهرة ، المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ ، ص : ٥٢

(٢) سورة : الحج :

(٣) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مرجع سابق، جـ ١٧ ، ١١٦ .

٢ – قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(١) قال ابن جرير: "والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى، هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه، ويوجده بعد أن لم يكن شيئا، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده كما بدأه بعد فنائه، وهو أهون عليه"(٢).

٣ – وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}(٣) .وقد ورد في سبب نزولها أن بعض منكري البعث من المشركين حمل في يده عظما باليا ففته أمام النبي ﷺ، ثم ذراه في الهواء ثم سأله سؤال استنكار واستهزاء وسخرية: هل يستطيع ربك بعث هذا وإحيائه؟، وذكرت الروايات أن النبي عليه السلام أجابه بقوله: "نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم"، وفي رواية: "نعم، يميتك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار" (٤). ويستدل، تعالى هنا بدليل البداءة على الإعادة، يعني أنه، تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئًا، أفلا يستطيع أن يعيده وقد صار شيئًا، كما قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } [الروم : ٢٧]، وفي الصحيح: "يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من آخره، وأما أذاه إياي فقوله:

(١) سورة الروم : ٢٧

(٢) الطبري ، المرجع السابق ، جـ ٢١ ، ص : ٣٥

(٣) سورة يس : ٧٧-٧٩

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ،مرجع سابق ، جـ ٥، ص : ٦٣١.

إن لي ولدًا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له ، كفوًا أحد" [1] ،

٤- وقال تعالى : {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} ق ١٥، ومعنى الآية أن الخلق الأول للإنسان لم يعجزنا، أو يعيينا، فالخلق الجديد الثاني يكون أهون وأسهل(٢).

٥- و قال تعالى: {نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ. أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ} الواقعة ٥٧-٦٢. يقول ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى مقررا للمعاد ورادا على المكذبين به من أهل الزيغ والإلحاد من الذين قالوا: {قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد"(٣)

٦- { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) } والآية فيها استدلال عقلى على استعادة الأبدان يوم القيامة فمن خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس، في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات، والحركات المختلفات، والآيات الباهرات، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد، وبرارى وصحارى وقفار، وبحار وأشجار، ونبات وحيوان، على

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٥).

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ٧ ، ص: ١٧٤،١٧٥ .

(٣) ابن كثير : السابق ٤/٤٧٥

اختلاف أصنافها ومنافعها، وأشكالها وألوانها؛ قادر على أن يعيد هذا الجسد الضعيف الصغير في الخلق مرة أخرى { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الأحقاف: ٣٣]،

المطلب الثالث: دليل الحس.

الدليل الحسى من الأدلة الهامة في الإدراك والمعرفة ، وقد عول عليه الملحدون كثيرا ، وجعلوه المصدر الأوحد للمعرفة ؛ فما يقع في نطاق المحسوس يمكن أن ندركه ونعترف به ؛ لذلك فوت عليهم القرآن الفرصة ، وقدم لهم الأدلة الحسية والمشاهدة على وجود خالق واحد لا شريك له وهذا سيتضح من خلال الآتي :

١ – ما حكاه الله سبحانه في شأن قصة أصحاب الكهف، حيث كتب الله عليهم النوم في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثم بعثهم بعد ذلك لم يتغير منهم شيء ، قال ابن كثير رحمه الله : "ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث، في أمر القيامة ، وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا: تبعث الأرواح، ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك[(١)].وقد سطر الله أمرهم في كتابه العزيز فقال سبحانه {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ

(١) ابن كثير : السابق ٣٧٦/٤.

بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ}[1] وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا}[2]

٢- ما أخبر الله سبحانه – به عن عيسى بن مريم – عليه السلام – في قصة إحيائه للأموات، قال تعالى: {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ}[3] . وقد ذكر أهل العلم بالتفسير أن عيسى – عليه السلام – أحيا أربعة أنفس بإذن الله ، وهذه من الآيات المعجزات والتي لا سبيل لأحد في إيجادها إلا بتأييد من الله تعالى، وفي الوقت نفسه برهان واضح على أن الله تعالى قادر على الإحياء للخلق مرة ثانية ، فما دام أن المخلوق استطاع بإذن الله على ذلك فالخالق من باب أولى.

٣- ما أخبر الله به سبحانه من قصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة التي أُمِرَ عليه السلام بتقطيعهن، وجعلهن أجزاء على عدد من الجبال ثم دعوتهن، فعدن أحياء مرة ثانية كما كن من قبل، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [4]

---

(١) سورة الكهف : ١٩

(٢) سورة الكهف : ١٢

(٣) سورة آل عمران : ٥٩

(٤) سورة البقرة : ٢٦٠

٤- ما أخبر الله سبحانه به من قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فلما تفكر فيما آل إليه أمرها بعد بنائها وعظمتها استبعد إحياءها مرة ثانية، فجعل الله تعالى له العبرة منه وفيه وفي من حوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه، فرأى بأم عينيه أعظم آية تدل على المعاد.قال تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١)

٥ – قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} الحج ٥-٧.

٦- { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)} [الأنبياء: ٢٢] هذه الآية كما يقول ابن رشد: تقرر حقيقة بديهية وفطرية تشهد الملاحظة بصدقها ، وهى أن وجود ملكين في

(١) سورة البقرة : ٢٥٩

مدينة واحدة يفسدها ، ماداما يعملان ، إلا أن يعمل أحدهما ويبقى الآخر بدون عمل ، وهذا إن جاز في الملوك ، فإنه لا يجوز في الآلهة فإن العاجز أو المتعطل لا يصح أن يوصف بالألوهية. (١)

٧- { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢] يقول ابن كثير" ينبه تعالى أنه هو المدعُوّ عند الشدائد، المرجُوّ عند النوازل، كما قال: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ } [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } [النحل: ٥٣]. وهكذا قال هاهنا: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ } أي: مَنْ هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه. (٢)

(١) ابن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة ، مكتبة الأنجلو مصرية سنة ١٩٥٥م ص : ١٥٥

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ص : ٢٠٣

خاتمة البحث

تناول البحث قضية الإلحاد والملحدين في القرآن الكريم فوقف على دلالة المصطلح في القرآن الكريم ، وكشف عن سمات وخصوصية التفكير الإلحادي وتبين أنه يقف على النقيض تماما من التفكير الإيمانى، كما ناقش نشأة الإلحاد عبر التاريخ ابتداء من فلاسفة اليونان وانتهاء بالملاحدة الجدد في العصر الحديث ، مع بيان المنهج العام للقرآن الكريم في معاملة المخالفين ، وقام الباحث بدراسة استقرائية تحليلية لآيات الإلحاد والملحدين في القرآن الكريم ، دراسة استقرائية بحصر الآيات الصريحة وغير الصريحة والقصصية التى تعرضت للإلحاد والملحدين، ودراسة تحليلة لهذه النصوص من خلال أقوال المفسرين ، ومعرفة الدواعى والأسباب التى أدت إلى ظهور الإلحاد ، وقدم البحث أدلة القرآن الفطرية ، والحسية ، والعقلية التى تثبت كذب وبهتان الملحدين . ويمكن أن نوجز نتائج البحث كالآتي :

١ – الإلحاد في القرآن الكريم ، يشمل كل أنواع الميل عن الحق إلى الباطل ، ومن ثم يدخل فيه الكفر والشرك ، والظلم ، وإنكار البعث ، وإنكار الرسل ، وإنكار الألوهية .

٢ – التفكير الإلحادي يقف على النقيض تماما من التفكير الإيمانى ، فإذا كانت خصوصية التفكير الإيمانى هي الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، فإن خصوصية التفكير الإلحادي تقوم على إنكار وجود الله وملائكته والتكذيب برسله وكتبه ، وبيوم الدين ، والبعث ، والإيمان بأن نهاية الإنسان تقف عند موته.

٣- المنهج العام للقرآن الكريم في معاملة الملحدين والمخالفين يقوم على الدعوة بالتى هى أحسن ، ويقوم على تقديم الحجج القوية ، والأدلة الساطعة الصحيحة ، وإبطال الحجج الفاسدة والباطلة .

٤- الجهل بطبيعة الخالق وصفاته العلا ، والاعتماد على العقل كمصدر أوحد للمعرفة ، واتباع الشهوات والهروب من المسؤلية ، والكبر والمعاند هي أهم أسباب ظهور الإلحاد .

٥- ظاهرة " الإسلاموفوبيا " أو الخوف من الإسلام مصدرها الترويج من قبل الملحدين للنيل من الإسلام والتربص بأهله.

توصيات البحث :ويوصي البحث بالآتى :

١ - الاهتمام بدراسة ظاهرة " الإسلاموفوبيا " المنتشرة في الغرب .

٢- إقامة الندوات وعقد المؤتمرات التى تناقش قضايا الملحدين في ضوء القرآن الكريم والسنة ، والرد عليهم.

٣- إنشاء مجلة علمية متخصصة لمناقشة قضايا الملحدين الجدد والرد عليهم .

٤- إنشاء قسم للدراسات الإلحادية في الجامعات العربية على غرار قسم الدراسات الاستشراقية في الجامعات الغربية لمناقشة المستجدات عند الملحدين ومناقشتهم ، والتحذير من خطورة انتشار الإلحاد في الوطن العربي .

٥- ضرور إنشاء قنوات اتصال مع الشباب بشكل دائم للوقاية من خطر الإلحاد خاصة بعد انفتاح العالم وتحوله إلى قرية صغيرة .

٦- ضرورة التأصيل بمزيد من الأبحاث المحكمة لقضية الإلحاد وخطورته على المجتمع.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر .

١- الأصفهانى : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

٢- البغوي : ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [ت ٥١٦ هـ] ، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، : دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٣- ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، إقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ،

٤- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دقائق التفسير ، تحقيق د. محمد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ١٤٠٤هـ

٥- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥م جـ١٧، ص : ٣٤٦

٦- الثعلبى : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ) ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

٧- الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ، التعريفات ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

٨- أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥). معجم مقاييس اللغة؛، طبعة التراث العربي.

٩- أبو حيان الأندلسى : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١٠- ابن أبي حاتم : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ

١١- الخلوتى : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، تفسير روح البيان ، دار إحياء التراث العربى

١٢- الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، : دار الفكر – بيروت / لبنان –١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م

١٣- الرازي : محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ، تفسير الفخر الرازي ، دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

١٤- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، مفاتيح الغيب ، : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م

١٥- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان– بيروت، طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥

١٦- الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ، بدون تاريخ وسنة طبع

١٧- الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ،عيسى الباب الحلبى وشركاه ، ١٣٧٦هـ ، ١٩٥٧م .

١٨- السمرقندي : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ، بحر العلوم ، دار الفكر – بيروت تحقيق: د.محمود مطرجي

١٩- السمعانى ، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، تفسير القرآن ، تحقيق ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض ، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م

٢٠- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، الإتقان في علوم القرآن ،تحقيق محمد أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤ م .

٢١- الشربينى : محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين ، تفسير السراج المنير ، دار الكتب العلمية . بيروت ، بدون سنة طبع

٢٢- الشوكانى ، محمد بن على الشوكانى : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، بدون دار نشر .
٢٣- الشافعى ، محمد ابن ادريس الشافعى ، الأم ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ .
٢٤- الطبرى: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق، أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٢٥- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
٢٦-)ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، بدائع الفوائد ، : دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
٢٧- ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، تفسير القرآن الكريم ،تحقيق ، مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ ،
٢٨- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٢٩- مجاهد ، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج ، تفسير مجاهد ، المنشورات العلمية – بيروت ، تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي

٣٠- ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ

٣١- النسفي : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تفسير النسفى ، تحقيق مروان محمد الشعار : دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥

ثانيا : المراجع

١- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،٢٠٠٢م

٢- الأهواني، أحمد فؤاد الأهواني. فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ط أولى، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٤م

٣- بدوي ،عبد الرحمن بدوي، من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، القاهرة، ابن سينا للنشر، ط٢ ، ١٩٩٣،.

٤- باشميل ، محمد أحمد ، كيف نحارب الإلحاد ، بدون دار نشر ، ط١ ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م ص

٥- الجابري ، د . محمد عابد الجابري. فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول ، القسم الأول ، مركز دراسات الوحدة العربية ط ٣ بيروت ٢٠١٠ص: ١٩٢

٦- حسين ، عبدالعزيز حسين ، بين ا لإلحاد والتوحيد قصية دفاع، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ط ١ ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م

٧- حنبكة ، عبدالرحمن حسن حنبكه ،نظريات حول قضيتى الإلحاد والإيمان ، ال مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، المجلد الخامس، مكة المكرمة

٨- رجب ، د محمود رجب ، الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٨ بدون دار نشر

٩- الرحيلي . حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط ١ : ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٠- ابن رشد ، الكشف عن مناهج الأدلة ، مكتبة الأنجلو مصرية سنة ١٩٥٥م

١١- السعدي : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق ، : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٢- شريف ، د. عمرو شريف ، وهم الإلحاد ، هدية مجلة الأزهر العدد محرم ١٤٣٥ هـ

١٣- الشوبكي ، محمود يوسف محمد الشوبكي ،الإلحاد وسبب انتشاره ، المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية ، شعبة العقيدة ، رسالة مجاستير منشورة .

١٤- عبد الخالق : عبدالرحمن عبد الخالق ، الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، الملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ

١٥- عبدالرازق ، د مصطفى عبدالرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٠م .

١٦- علي عبدالله ، د .شوقي إبراهيم علي عبدالله ، الاسلام في مواجهة شبهات الماديين ، مجلة دراسات إسلامية ، العدد السادس ، ١٤٢٣هـ .

١٧- عبد المعز ، د. محمد عبدالمعز ابراهيم ، فلسفة الأخلاق في الشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط أولى ٢٠١٧

١٨- عمارة ، د محمد عمارة : تمهيد عن الإلحاد بين الغرب والإسلام ، بقلم د محمد عمارة ،تقديم لكتاب وهم الإلحاد ، د. عمرو شريف ، هدية مجلة الإزهر ، محرم ١٤٣٥هـ .

١٩- عمارة ، د. محمد عمارة ، قراءة النص الدينى بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ ،٢٠١٢م

٢٠- فوزان ، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢٣هـ .

٢١- القطان ، مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٢، ٢٠١١م

٢٢- كريسون ، أندريه ، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، ترجمة وتعليق ، د عبدالحليم محمود ، أبو بكر ذكري ن القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتباب ، ٢٠١٢م

٢٣- مدكور : د عبد الحميد عبدالمنعم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية (مقدمات ، وقضايا) ، دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٠

٢٤- الموسوعة الإسلامية العامة ، إشراف د محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، مصر ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م .

٢٥- الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء السوفياتيين بإشراف م. روزنتال و ب يودين ، ترجمة سمير كرم ، طبعة دار الطليعة ، بيروت سنة ١٤٧٤م

٢٦- النشار، مصطفى حسن النشار. تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، لقاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ، ٢٠٠م